
روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
السنيورا
120
www.liilas.com/vb3
^RAYAHEEN^
نبيل فاروق
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

120

السنيورا

- هل يمكن أن ينجو (أدهم صبرى) من السقوط .. من ارتفاع عدة كيلومترات ، بدون مظلة ؟!
- من هى السنيورا .. التى تهدد العالم أجمع بمشروعها النووى الرهيب ؟!
- ترى كيف تكون المواجهة هذه المرة .. بعد عودة (سونيا جراهام) .. وبعد أن بدأ مشروع (السنيورا) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة .. وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل) .



العدد القادم : وجه الأفعى

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة تلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - امرأتـــــان ..

هبطت درجات الحرارة إلى حد رهيب، فى تلك البقعة القارصة البرودة، من صحراء (سيبيريا)، حتى إن أجهزة التدفئة، التى تعمل بأقصى طاقتها، لم تستطع رفع الحرارة إلى المستوى المنشود، مما اضطر كل العاملين فى ذلك المفاعل النووى السرى إلى ارتداء معاطف الفراء داخل معاملهم، فى حين بدا طاقم الحراسة شديد العصبية والتوتر وهو يقف عند البوّابة الرئيسية، وعيون أفراده تجوب السماء فى بطء، وكأنما ينتظرون شروق الشمس، من بين تلك السحب الكثيفة، لتلقى بعض دفئها عليهم، كأمل أخير للحصول على لمسة من الدفء والحرارة ..

ثم تناهى إلى مسامعهم بغتة ذلك الأزيز ..

أزيز خافت، أتى من بعيد، ولكنه كان كافيًا لتنتفض أجسادهم، وتشرئب أعناقهم، فى محاولة لرؤية الطائرة القادمة، التى تنطلق نحوهم، على الرغم من برودة الجو ورداءة الطقس ..

وعندما لاحت الطائرة الصغيرة ، انطلقت من صدورهم تنهدات ارتياح ، وأسرعوا يصطفون على جانبي ممر هبوط ، كسته الثلوج تمامًا ، وكل منهم يحمل مصباحًا كبيرًا ، لإرشاد الطائرة القادمة إليه ..

وكان من الواضح أن قائد الطائرة بارع للغاية ؛ فعلى الرغم من الجليد المتساقط ، والمهبط الزلج ، استطاع الهبوط بالطائرة في مهارة وسلام ، واستقرّ بها على مسافة ثلاثين مترًا فحسب من المفاعل ، فاندفع إليها رجال الحراسة ، وعلى رأسهم (لورانزو) ، الذي فتح بابها بنفسه ، وهو يهتف :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا سنيورا .

برزت السنيورا من الطائرة ، مرتدية معطفًا ثمينًا من الفراء ، يتناسب لونه مع غطاء الرأس ، الذي أخفى شعرها الأشقر ، فيما عدا خصلة منه ، تركتها تتدلى على جبهتها ، وهي تنفث دخان سيجارتها ، قائلة :

ـ كيف سارت الأمور هنا يا (لورانزو) ؟!

أجابها الشاب في سرعة وحماس :

ـ على خير ما يرام يا سنيورا .

وبإشارة من يده ، أسرعت إليه سيارة سوداء كبيرة ، وتوقّفت إلى جوار الطائرة تمامًا ، بحيث هبطت السنيورا من الطائرة لتدلف إليها مباشرة ، وأسرع (لورانزو) يجلس إلى جوارها ، وهو يشير إلى السائق ، الذي انطلق نحو المفاعل مباشرة ، في حين غمغمت السنيورا في حنق واضح :

ـ (مالينوفتشي) اللعين يخدعنا .

كانت عبارتها مفاجئة لرجلها ، الذي هتف ذاهلاً :

ـ يخدعنا ؟!

اجابته في حنق ، وهي تطفئ سيجارتها :

ـ لقد سافر إلى (نيويورك) ، دون أن يبلغني بهذا .

غمغم (لورانزو) في توتر ، والسيارة تتجه إلى مقر إقامة السنيورا :

ـ ربما كانت لديه بعض الأعمال العاجلة هناك .

ضربت مقبض الباب براحتها ، قائلة في حدة :

ـ كان ينبغي أن يبلغني .

قالتها ، وغادرت السيارة إلى مقر إقامتها ، وتبعها (لورانزو) في توتر أكثر ، ولم تكد تغلق الأبواب الداخلية خلفها ، حتى قال في حذر :

- سفره إلى (نيويورك) دون إبلاغك ، لا يعنى بالضرورة أنه يخدعنا يا سنيورا !

ألقت معطفها على أقرب مقعد إليها ، وهى تشعل سيجارة أخرى ، قائلة فى عصبية :

- هذا لو أن الأمر قد اقتصر على السفر إلى (نيويورك) فحسب .

سألها مبهوتًا :

- ماذا حدث أيضًا ؟!

جلست على أول مقعد صادفها ، وراحت تنفث دخان سيجارتها الطويلة فى صمت وعصبية لنصف دقيقة كاملة ، بدت لـ (لورانزو) أشبه بدهر كامل ، قبل أن تقول فى غضب :

- الجميع سافروا إلى (نيويورك) .

ردد (لورانزو) خلفها ، فى حيرة متوترة :

- الجميع ؟!

أجابت فى حدة :

- نعم .. الجميع .. (ماسومى) ، و(كريستوفرسن) ، و(مالينوفيتشى) .. لقد سافروا للاجتماع بـ (أوكونور) ، دون أن يبلغنى أحدهم بهذا ، أو يشير حتى إليه .. فما الذى يمكن أن يعنيه الأمر فى رأيك ؟!

صمت لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

- الكثير .

أجابته فى توتر ، وهى تلوح بذراعها كلها :

- بالضبط .

ثم نهضت من المقعد بحركة عنيفة ، مستطردة :

- السؤال الآن هو : ما هذا الكثير بالضبط ؟! ما الذى يدور حوله ؟! وما الذى يسعون إليه بدونى ؟! أو بمعنى أدق : ما الذى يخفونه عنى بالتحديد ؟!

ألقت سؤالها ، وشرد بصرها ، وهى تتطلع إلى الجليد الروسى ، عبر نافذة حجرتها ، وعقلها يستعيد عشرات المواقف والذكريات ..

وبالتحديد منذ بدأ مشروعها النووى ..

ومنذ اقتحم (أدهم) خطتها فى عنف ، مع زميلته (جيهان) ، فى (ريو دى جانيرو)[*] ..

لقد أفسد خطتها ، ودمر مشروعها ، وكاد يقضى عليها شخصيًا ، لولا أن نجحت فى الفرار ، فى اللحظة الأخيرة ، بوساطة مشروع (السوبرمان)[**] ..

(*) راجع قصة (رياح الخطر) .. المغامرة رقم (١١٣) .

(**) راجع قصة (عاصفة الجبال) .. المغامرة رقم (١١٧) .

وهذا ماجعلها تأتى إلى هنا ..
إلى قلب (سيبيريا) ..
آخر مكان يمكن أن يخطر ببال (أدهم صبرى) ..
وهذا ما أكده لها مطاردته لـ (سام أوكونور) ، أحد مموليها الأربعة ، وعملاق المال والاقتصاد فى (نيويورك) ..
لقد أرسل زميله (قدرى) لمقابلة (أوكونور) ، باعتباره رجل أعمال مصريًا ، يسعى لعقد صفقة من صفقات المعدات الثقيلة ..
ولكن (أوكونور) كشف الأمر ..
وأوقع بـ (قدرى) ..
وبكل غضب الدنيا ، انطلق (أدهم) يواجه (أوكونور) ورجاله ..
والعجيب أن (أوكونور) أمكنه الإيقاع بـ (أدهم) أيضًا ..
فوق قمة قلعته الاقتصادية ..
فى قلب (نيويورك)(*) ..
« هاتفك يا سنيورا » ..

(*) راجع قصة (الأربعة الكبار) .. المغامرة رقم (١١٨) .

انتزعها هتاف (لورانزو) من أفكارها وذكرياتها ، فانتبهت إلى أن هاتفها الخاص يطلق رنينًا منتظمًا ، فالتقطته من جيبها فى سرعة ، وقالت :
- من المتحدث ؟!
التقى حاجباها فى شدة ، على نحو يشير إلى أنها تتلقى معلومات بالغة الأهمية ، خاصة وقد لاذت بصمت تام ، وكأنها تشحن عقلها بكل ما تسمعه ، قبل أن تقول فجأة فى حدة :
- سيدة شقراء فاتنة ؟! من تقصد بالضبط ؟!
بدا عليها توتر لا محدود ، وهى تستمع إلى محدثها مرة أخرى ، قبل أن تقول فى عصبية :
- هل التقطت صورتها بالفعل ؟! عظيم .. استعد لإرسالها بالفاكس على الفور .
ثم هبت من مقعدها ، وأوصلت هاتفها المحمول بجهاز (الفاكس) ، بوساطة بطاقة إليكترونية خاصة(*) ، قبل أن تقول فى توتر :

(*) تنتج معظم شركات الهواتف المحمولة بطاقات إليكترونية رقمية خاصة (PCMCIA) ، يمكن بوساطتها توصيل الهاتف بأجهزة الكمبيوتر النقالة (Note Books) ، أو أجهزة الفاكس (Fax) .

- هيا .. إننى أنتظرها .

أدرك (لورانزو) كم يعنيها ويثير انفعالها هذا الأمر ، عندما رأى تلك اللهفة العصبية ، المطلة من عينيها ، وهى تتطلع إلى جهاز (الفاكس) ، فى انتظار وصول الصورة ..

ثم بدأ الجهاز فى الاستقبال ..

وانتفض جسدها انتفاضة ملحوظة ..

وتجمد كيانها كله ، حتى إنها نسيت السيجارة المشتعلة بين أصابعها ، وهى تحدق فى جهاز (الفاكس) ، والصورة التى ينقلها ، و ..

« مستحيل ! »

انطلقت صرختها كالقنبلة فى المكان ، حاملة قدرًا هائلاً من التوتر ، والعصبية ، والذعر ، والحنق ، والسخط ، والانفعال ، وكل ما يمكن الإشارة إليه من مختلف المشاعر الأخرى ، حتى إن (لورانزو) قد قفز من مكانه بدوره ، وانتزع مسدسه من غمده بحركة غريزية ، وهو يهتف :

- ماذا حدث يا سنيورا ؟!

أدهشه أن رآها تفقد توازنها ، وتترنح لحظة ،

قبل أن يسقط جسدها على أقرب مقعد إليها ، وهى تقول فى ذهول مبهور :

- إنها هى .

سألها فى حيرة متوترة :

- ومن هى ؟!

لم يبد أنها قد سمعته ، وهى تلوح بذراعيها ، هاتفة :

- إنها لم تمت .. لقد خدعتنا جميعًا .

كرر فى توتر أكثر :

- من هى يا سنيورا ؟!

استدارت إليه هذه المرة ، وقذفت بقايا سيجارتها نحو الركن بكل غضبها وانفعالها ، وهى تهتف :

- (سونيا) .. (سونيا جراهام) .

لم يكن قد التقى بـ (سونيا) ، أو سمع عنها من قبل قط ، إلا أن الطريقة التى نطقت بها السنيورا ، اسمها ، جعلته يهتف :

- يا للشيطان !

أما السنيورا ، فقد هبت من مقعدها ، قائلة فى عصبية لم ير مثلها قط :

- (سونيا جراهام) على قيد الحياة ، وتلتقى بعمالقة الاقتصاد الأربعة الكبار فى (نيويورك) ، وهم يذهبون للقائها دون إبلاغى ، فما الذى يعنيه كل هذا ؟!

ولوّحت بذراعها كلها فى عنف ، صارخة :

- ما الذى يعنيه ؟!

حاول (لورانزو) أن يقول شيئًا ، إلا أنه لم يجد فى كيانه سوى الحيرة والفراغ ، فاكتفى بتحريك شفتيه ، دون أن يصدر عنهما أدنى صوت ، فى حين راحت هى تتابع ، فى عصبية وتوتر شديدين :

- لقد بذلت جهدًا مضنيًا منذ البداية ، لإقناع الجميع بأننى (سونيا جراهام) ، أو لبث الشك فى نفوسهم على الأقل ، بحيث يطاردون شبحًا وهميًا طوال الوقت ، دون أن ينتبهوا إلى هويتى الحقيقية ، ومن المؤكد أن (سونيا) قد أدركت هذا منذ البداية ، وعلى الرغم من إدراكها لحقيقة الموقف ، فهى لم تحرك ساكنًا ، أو تحاول منعى مما أفعله ، أو تثور لدفعى الجميع خلفها ، وكأن هذا لا يعنيها فى كثير أو قليل .

قال (لورانزو) فى حذر :

- ربما خشيت أن تلفت الأنظار إليها .

أشارت بسبابتها فى عصبية ، قائلة :

- خطأ .. لقد حدث اتصال بالفعل ، بينها وبين الأربعة الكبار ، الذين يمولون خطتى النووية ، ولست أدرى متى تم هذا الاتصال بالضبط .. قبل أم بعد الاتفاق على عملية التمويل ؟!

لم يدر (لورانزو) بم يجيب ، فقلب كفيه فى حيرة ، ومط شفته السفلى فى صمت ، مما جعل السنيورا تتابع ، وهى تشعل سيجارة جديدة فى توتر بالغ :

- لحظة يا (لورانزو) .. دعنا نستعيد ما حدث منذ البداية .. لقد سعيت للاتصال بـ (سام أوكونور) وحده ، لإقناعه بتمويل مشروعى ، ولكنه اقترح أسماء الثلاثة الآخرين ، فى اجتماعنا الثانى ، فهل يعنى هذا أن (سونيا) هى التى أملت عليه أسماءهم ؟!

قال (لورانزوا) :

- إنه يعرفهم ، بحكم كونه أحد عمالقة الاقتصاد العالمى .

التفتت إليه فى حدة ، قائلة :

- هل تعتقد هذا ؟!

ارتبك ، قائلاً :

ـ إنه مجرَّد رأى .

صاحت فى وجهه غاضبة :

ـ رأى غبى .

احتقن وجهه فى شدة ، وانعقد حاجباه فى غضب ، وهى تتابع فى حدة :

ـ ما يحدث الآن يؤكِّد أن (سونيا جراهام) كانت تضع بصماتها منذ البداية .. منذ أقنعت الجميع بموتها ، حتى يستقرَّ أمرها ، وتعيد بناء نفسها مرة أخرى .

وراحت تنفث دخان سيجارتها فى عصبية بالغة ، وهى تدور فى حجرتها ، متابعةً :

ـ مؤسسة (سيتاديل) ابتاعت جزيرة (هيل) فور انتهاء تحقيقات الشرطة الفيدرالية بشأنها ، وبدأت فى تغيير ملامح قلعة (سونيا) على قمتها ، لتخفى وسيلة فرارها من الانفجار ، وهذا يعنى ، بالنسبة لى ، أن (سام أوكونور) كان على اتصال بـ (سونيا جراهام) منذ البداية ، من قبل حتى أن يحدث ذلك الانفجار(*) .

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) المغامرة رقم (١٠٠) .

ثم انطلقت من حلقها ضحكة عصبية عنيفة ، قبل أن تكمل :

ـ وأنا ذهبت كالحمقاء إلى (أوكونور) ؛ لأطالبه بتمويل مشروعى .. هل تتصور هذا ؟! ذهبت بقدمىَّ إلى (سام أوكونور) دون سواه .. يا للسخافة ! اخترته من دون رجال المال والأعمال ، فى العالم أجمع ، و ...

بترت عبارتها بغتة ، واحتقن وجهها فى شدة ، وهى تقول :

ـ يا للشيطان ! إننى لم أختر (أوكونور) كما كنت أتصور ! لقد وقع اختيارى عليه بسبب ذلك الحديث ، الذى أجرته معه محطة (سى . إن . إن) ، والذى تحدَّث فيه عن رغبته فى إقامة مشروع نووى كبير .

غمغم (لورانزو) :

ـ إنها مصادفة إذن .

صاحت فى غضب :

ـ مصادفة ؟! يا لك من غرٍّ ساذج ! من الواضح أنك تجهل تمامًا كيف تفكِّر (سونيا جراهام) .

احتقن وجهه ، وهو يقول فى حدة :

ـ أنت قلت إن حديث محطة (سى . إن . إن) ، هو الذى جذب انتباهك إليه .

صاحت فى حنق :

ـ بالضبط .. وهنا تكمن عبقرية (سونيا جراهام) ، وخبراتها السابقة فى عالم المخابرات .. لقد بلغتها معلومات بشأنى ، وعلمت منها أننى أبحث فكرة إكمال نفس المشروع النووى ، الذى بدأته هى فى (هيل) ، فدفعت (سام أوكونور) للإدلاء بذلك الحديث ، لمحطة (سى . إن . إن) لثقتها بأن حديثه عن المفاعلات النووية سيجذب انتباهى حتمًا ، وسيدفعنى لمحاولة الاتصال به ، من أجل تمويل المشروع ، وبعدها جعلته يضع أسماء الثلاثة الآخرين أمامى ، وعلى نحو لا يمكن رفضه ..

وعادت تطلق ضحكة شديدة العصبية ، قبل أن تتابع :

ـ باختصار ، لقد سرت على النهج الذى رسمته هى ، بمنتهى الدقة والطاعة ، كما لو كنت مجرد قطعة خشبية ، على لوحة الشطرنج الخاصة بها ، ونفذت كل ما أرادته ، وأنا أتصور أن إرادتى وحدها تحكم الأمور .

ثم انعقد حاجباها فجأة فى شدة ، وهى تقول :

ـ ولكن لماذا ؟!

سألها (لورانزو) فى حذر :

ـ لماذا ؟!

لوّحت بسبابتها فى الهواء ، وهى تعود إلى مقعدها ، وتضع إحدى ساقيها فوق الأخرى ، مغمغمة فى شرود :

ـ نعم .. لماذا تركت (سونيا) الأمور كلها تسير على هذا النحو ، دون أن تتدخل بالتعديل أو التغيير ، أو تعلن حتى عن وجودها ؟! لماذا ؟!

لاذ (لورانزو) بالصمت التام ، وهو يراقبها فى توتر ، فى حين راحت هى تنفث دخان سيجارتها فى عمق ، وهى تفكر بتركيز شديد ، وتستعيد أحداثًا عديدة ومواقف شتى .

كانت تحاول الربط بين تطورات الموقف ، وظهور (سونيا) المفاجئ هذا ..

ثم تعتصر عقلها ، لربط كل هذا بذلك الاجتماع السرى ، الذى يدور الآن فى (نيويورك) ، والذى يحضره الأربعة الكبار بأنفسهم ..

ولكن عقلها كان يفتقر إلى الكثير من المعلومات والتطورات ..

لقد كانت تجهل طبيعة الصلة ، التى تربط (سونيا) بالأربعة الكبار ..

وكانت تجهل أيضًا أن (أدهم) قد استخدم كل مهارته وبراعته ، لينتحل شخصية (بيركينز) ، الذراع اليمنى لـ (سام أوكونور) ؛ حتى يمكنه حضور اجتماع العمالقة ، فى نفس الوقت الذى أسند فيه إلى (منى) و(وصفى) مهمة إنقاذ (قدرى) ، من ناقلة البترول (ثندربيرد) ، التى تملكها مؤسسة (سيتاديل) ..

ولكن (سونيا) أوقعت (منى) فى فخ محكم ، على متن (ثندربيرد) ، وسقط بعدها (وصفى) فى فخ آخر ، وانتهى الأمر بالثلاثة ، (منى) و(وصفى) ، و(قدرى) ، داخل خزان بترول داخلى مغلق ، فى قلب (ثندربيرد) .

وراح الوقود يتدفق داخل الخزان بلا هوادة ، ليضع أمامهم مصيرًا مظلمًا ، مخيفًا ، ونهاية واحدة لا غير ..

الموت ..

الموت غرقًا ، فى قلب بحيرة من البترول النقى ..

أما (أدهم) نفسه ، فقد كشفت (سونيا) أمره بالفعل ، ووجد نفسه مقيدًا بشرائح من الصلب ، إلى مقعد كبير ، داخل طائرة تحلق فوق المحيط الأطلنطى ، حيث مقر اجتماع العمالقة ..

وبكل الظفر والشماتة والقسوة ، ضغطت (سونيا) زرًا فى جهاز للتحكم عن بعد ، فانفتحت فجوة تحت (أدهم) ووجد نفسه يهوى مقيدًا إلى المقعد ، نحو المحيط الأطلنطى ، على ارتفاع عدة مئات من الأمتار بلا هوادة ..

وبلا رحمة(*) ..

« .. (لورانزو) .. »

اعتدلت السنيورا بحركة حادة ، وهى تطلق هذا الهتاف ، على نحو جعل (لورانزو) يقفز من مكانه ، هاتفًا :

ـ أمرك يا سيدتى .

بدت شديدة الحزم والصرامة ، وهى تنهض من مقعدها ، وتلقى سيجارتها قبل أن تكتمل ، قائلة :

(*) لمزيد من التفاصيل راجع الجزأين الأول والثانى .. (الأربعة الكبار) ، و(فوق القمة) .. المغامرتان رقمى (١١٨) ، و(١١٩) .

- أبلغ الجميع أننا سنضاعف ساعات العمل ، وسنبذل جهدًا أكثر من ذى قبل ، وافصل طاقم الحراسة الخارجى ، الخاص بالجنرال (ميلوسكى) ، عن طاقم الحراسة الداخلى ، الخاص بنا .. لا أحد يسمح له بدخول المفاعل أو منطقة العمل ، مهما بلغ شأنه ، دون تصريح خاص منى ، حتى (مالينوفيتشى) نفسه .

هتف فى حماس :

- أوامرك يا سنيورا .

ثم انخفض صوته على نحو غريزى ، وهو يستطرد فى لهفة :

- ولكن ما الذى تسعين إليه بالضبط ؟!

صمتت لحظة ، تألقت خلالها عيناها ، قبل أن تجيب فى حزم :

- سأبدل قواعد اللعبة ، بحيث تتناسب مع عقلية جبارة ، مثل عقلية (سونيا جراهام) .. وسأثبت للجميع أن ثمن خداعهم لى سيكون غاليًا جدًّا .

واتسعت عينا (لورانزو) عن آخرهما ، وهو يحدق فى وجهها ، الذى استحال - على الرغم من جماله - إلى صورة شيطانية مخيفة ، وفى عينيها ،

اللتين ذهب سحرهما ، وحل محله بريق رهيب للغاية ..

لقد كان من الواضح أن الحرب ستتخذ مسارًا آخر ، فى الساعات القادمة ..

وأن الجحيم سيفتح كل أبوابه ..

بلا استثناء .





٢ ـ الهبوط ..

لم يكن هناك مخرج هذه المرة ..

تلك الشرائح المعدنية ، كانت تربط معصمى وقدمى (أدهم) إلى مقعد الطائرة فى قوة ، وهو يهوى من ارتفاع مئات الأمتار ، نحو المحيط الأطلنطى مباشرة ..

ومنذ اللحظة الأولى ، لسقوطه من الطائرة ، شعر (أدهم) بضيق شديد فى صدره ، بسبب نقص الأكسجين ، فى تلك الارتفاعات الكبيرة ، وشعر بقلبه ينعصر بين ضلوعه ، مع الهبوط العنيف ، وهو يخترق السحب البيضاء ، وينكشف أمامه المحيط من بعيد ..

ولأنه ليس شخصًا عاديًا ، فإن رجل المستحيل لم يفقد أعصابه ، أو قدرته على تقييم الموقف لحظة واحدة ..

كان يعلم أن أمامه دقيقة ونصف الدقيقة تقريبًا ، قبل أن يرتطم بمياه المحيط ، التى ستمزقه ومقعده إربًا عند الاصطدام ..

ثم إن صدره لن يحتمل نقص الأكسجين هذا طويلا ..

ولكنه ، وعلى الرغم من هذا ، راح يدرس الموقف بسرعة خرافية ..

تلك الشرائح المعدنية ، التى تربطه إلى المقعد قوية للغاية ، على الرغم من رقتها ، ثم إنها تنبع من أسفل المقعد ، بحيث لا يمكنه بلوغ مصدرها قط ..

ولكن مسند المقعد ليس بالقوة نفسها ..

وبكل ما يملك من قوة ، كتم (أدهم) أنفاسه ، واستنفر كل قوته ، وقبض عضلات ساعديه عن آخرهما ، وهو يدفعهما إلى الخارج ..

واحتقن وجهه فى شدة ، وسرت آلام بلا حدود فى ذراعيه ..

ولكنه لم يتراجع ..

كان يسقط بسرعة تسعمائة وواحد وثمانين سنتيمترًا فى الثانية[*] ، وأنفاسه تضيق حتى أقصاها ، ويسيطر على وعيه فى صعوبة ، إلا أنه لم يتوقف عن الضغط إلى الخارج بكل قوته ، و ..

(*) عجلة الجاذبية الأرضية .

وأخيرًا ، تحطم أحد مسندى المقعد الجانبين ، تحت تأثير ضغط الذراع الفولاذية ، وتحررت يد (أدهم) اليمنى ..

وبسرعة مدهشة ، مال بنصف جسده ، بحثًا عن منبع تلك الشرائح المعدنية أسفل المقعد ..

كانت مثبتة فى قوة ، فراح يجذبها بكل قوته ، والمحيط يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

وعلى الرغم من متانة تلك الشرائح ، وقوة تثبيتها ، انتزعتها أصابع (أدهم) الفولاذية من منبعها ، وألقت بها بعيدًا ..

وأخيرًا تحرر رجل المستحيل ..

ولكن جسده مازال يهوى ، ويخترق مئات الأمتار من الغلاف الجوى ، فى طريقه إلى المحيط الأطلنطى ..

وراحت أنفاسه تضيق أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

واكتنف رأسه دوار عنيف ، مع نقص الأكسجين المتواصل ، وسرعة الهبوط المخيفة ، وراح يقاوم

فى استماتة تلك الغيبوبة ، التى تقاتل للسيطرة على عقله وكيانه ، والمحيط يقترب فى سرعة مخيفة ..

« السقوط رأسيًا يا (أدهم) .. » ..

ترددت فى رأسه كلمات والده القديمة ، وهو يدربه على القفز والسباحة ، واستعاد تعليماته الصارمة ..

« عندما تقفز من أية مسافة ، احرص على أن ترتطم أقل مساحة ممكنة من جسدك بسطح الماء ، وهذا لا يتأتى إلا إذا كنت تسقط رأسيًا .. » ..

« لو لم يكن القاع قريبًا ، فسيغوص جسدك كالسهم ، إلى مسافة تتناسب مع تلك التى هبطت منها ، دون أن تصاب بأضرار تذكر ، مادمت ستخترق الماء رأسيًا ، وبزاوية عمودية عليه تمامًا .. » ..

ترددت الكلمات فى رأسه ، وهو يقترب بسرعة من فقدان الوعى ، وبدا له المحيط أشبه بسطح هائل أزرق ، يندفع نحوه بسرعة مخيفة ، واستعاد فى لحظة واحدة كل معلوماته وخبراته السابقة ، فى القفز بالمظلات ، ووسائل تخفيف سرعة الهبوط ، ففرد ذراعيه عن آخرهما ، واستقبل الهواء بصدره ، وترك جسده يميل على نحو مدروس ، حتى تنخفض



ففرد ذراعيه عن آخرهما ، واستقبل الهواء بصدره ، وترك جسده يميل على نحو مدروس ..

سرعة هبوطه إلى أقصى حد ممكن ، ثم لم يلبث أن مال برأسه إلى الأمام ، عندما أصبح المحيط على مسافة ثلاثين مترًا فحسب ، وفرد ذراعيه عن آخرهما بمحاذاة رأسه ، و ..

وارتطم جسده بالماء البارد فى عنف ..

وعلى الرغم من كل ما فعله ، بدا له الارتطام وكأنه قنبلة ، انفجرت فى وجهه وأذنيه ، واخترقت شظاياها صدره وبطنه وأطرافه ..

وغاص جسده عميقًا ..

عميقًا ..

وصرخت أذناه من فرط الألم ، وهما تكادان تنفجران ، مع الضغط الواقع عليهما ، وانطلقت الغيبوبة كوحش مسعور ، تنقضّ على عقله وكيانه ، وهو يضرب الماء بذراعيه ، فى حركة غريزية ، لتخفيف سرعة غوصه ، والصعود إلى سطح المحيط ..

كان عقله قد هوى تقريبًا فى الغيبوبة أو كاد ، إلا أن جسده كان يقاتل بصورة آلية ، من أجل أقوى غريزة فى كيان كل كائن حى ..

غريزة البقاء ..

ولكن حتى رجل المستحيل مجرَّد بشر ..

بشر يخضع لحدود نهائية ، مهما بلغت قوته وقدراته ..

لذا فقد دار صراع شرس ، بين إرادته الفولاذية ، وتلك الغيبوبة الوحشية ، التى تلتهم جزءًا من وعيه ، فى كل ثانية تمر ..

وأخيرًا ، انهار الجسد ..

وانتصرت الغيبوبة ..

وعلى الرغم من أنه لم يعد أمامه سوى ثلاثة أمتار ، لبلوغ السطح ، فقد (أدهم صبرى) وعيه دفعة واحدة ، وعاد جسده يغوص ويغوص ..

فى قلب المحيط الأطلنطى ..

★ ★ ★

« يمكنكم اعتبار (أدهم صبرى) مجرَّد ذكرى أيها السادة .. »

نطقت (سونيا جراهام) عبارتها هذه فى زهو ظافر ، وهى تضع إحدى ساقيها فوق الأخرى ، على رأس مائدة الاجتماعات الكبيرة ، داخل تلك الطائرة ، التى تواصل التحليق فوق المحيط ، وتنفث دخان سيجارتها فى عمق ، قبل أن تتابع فى حزم :

ـ لا أحد ينجو من موقف كهذا .

تبادل الرجال الأربعة نظرة متوترة للغاية ، قبل أن يغمغم (أوكونور) فى عصبية :

ـ ملفه لدينا يقول : إنه قد نجا من مواقف كهذه من قبل .

ارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة ، وهى تقول :

ـ حقًا ؟!

ثم التقطت نفسًا عميقًا من سيجارتها ، قبل أن تتابع :

ـ من الواضح أن ملف (أدهم) قد أصابك بالذعر ، حتى تصوَّرت أنه أقوى من الموت نفسه .

زمجر (أوكونور) ، قائلاً :

ـ كان هذا رأيك ، عندما التقينا .

ثم لوَّح بسبابته فى وجهها ، مستطردًا فى حدة :

ـ وكنت تؤكدين ضرورة قتله فور رؤيته ، وأن الضمان الوحيد لمصرعه ، هو أن نشاهد جثته بأنفسنا ، لا أن نلقى به حيًا من الطائرة .

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول فى صرامة :

ـ (أدهم صبرى) انتهى .. هذا هو قولى الأخير .

تراجع (أوكونور) فى حنق ، وهو يكتم غيظه ، دون أن يعترض بحرف واحد ، فى حين تبادل الثلاثة الآخرون نظرة أكثر توترًا ، وقال (مالينوفيتشى) فى عصبية :

ـ دعونا ننسى أمر ذلك المصرى ، ولنبدأ اجتماعنا يا سادة ، وما دامت السيِّدة تؤكد أن أمره قد انتهى ، فهو كذلك .. إنها أكثرنا معرفة به .

هتف (كريستوفرسن) فى سرعة :

ـ بالتأكيد يا (إيفان) .. بالتأكيد .

ران صمت ثقيل على الطائرة ، إثر هتافه ، وبدا توتر ملحوظ على الجميع ، و (سونيا) تدير عينيها فى وجوههم ، فى صرامة قاسية ، قبل أن تطفئ سيجارتها فى المنفضة الأنيقة أمامها ، وتقول :

ـ فليكن .. دعونا نبدأ اجتماعنا .

ثم مالت إلى الأمام ، مستطردة فى حزم :

ـ آخر ما لدى من معلومات ، يؤكد أن السنيورا تستعد لإنتاج قنبلتها الذرية الأولى ، خلال ثلاثة أيام على الأكثر ، وهذا يعنى أن نستعد لتنفيذ الجزء الأخير من خطتنا .

وأدارت عينيها إلى (مالينوفيتشى) ، مستطردة :

ـ هل أعددت كل شىء هناك يا (إيفان) ؟!

أجابها الروسى فى سرعة :

ـ بالتأكيد يا سيِّدتى .. صديقى الجنرال (ميلوسكى)

يتولى شخصيًا أمر المفاعل النووى ، وهو يعرف ما ينبغى فعله ، عندما يتم إنتاج الدفعة الأولى من القنابل الذرية .

أومأت برأسها ، قائلة :

ـ عظيم .. هذا يضمن أن تتم عملية انتقال السلطة دون مشكلات تذكر .

فرقع (مالينوفيتشى) سبابته وإبهامه ، قائلا :

ـ ستتم هكذا يا سيِّدتى .

كان يتوقَّع أن تتهلَّل أساريرها لقوله ، إلا أنها ، وعلى العكس من هذا ، عقدت حاجبيها فى غضب ، وقالت فى صرامة :

ـ لا شىء يتم هكذا يا (مالينوفتشى) .. كل خطة تحتاج إلى منتهى الدقة والعناية ، وإلى كل الحذر ، مهما بلغت ثقتك بها .

تراجع الروسى مبهوتًا ، وهو يغمغم :

ـ بالطبع يا سيِّدتى .. بالطبع .

تراجعت بنظرة ظافرة ، وكأنما يروق لها سيطرتها التامة ، على أكبر أربعة من عمالقة الاقتصاد ، فى العالم أجمع ، وقالت بلهجة صارمة حازمة :

ـ لقد أعددنا الأمر بمنتهى الدقة منذ البداية ، ودفعنا السنيورا إلى الاستعانة بنا ، لتمويل مشروعها النووى ، وتحملنا كل ما جلبته لنا من متاعب ومشكلات ، فى سبيل الحصول على تلك القوة النووية فى النهاية .. وكانت خطتنا تعتمد على أن تواجه السنيورا وحدها كل المخاطر ، ثم نظفر نحن بالغنيمة فى النهاية ، فى حين تتصوّر هى طوال الوقت أنها رأس الأفعى ، وتقاتل من هذا المنطلق .

ثم تراجعت ، وأشعلت سيجارة أخرى ، متابعة :

ـ ولكن ظهور (أدهم صبرى) هنا ، ومحاربته لـ (أوكونور) مباشرة ، يعنى أن المصريين صاروا على بيّنة من الأمر ، وأدركوا أنكم الممولون الرئيسيون لذلك المشروع النووى ، الذى يخيف العالم كله ، ولن يلبث الآخرون أن يدركوا هذا أيضًا ، وتصبحون فى نظر الجميع مجرّد عقبات ، ينبغى تجاوزها بأى ثمن .

لوّح (كريستوفرسن) بذراعه ، قائلاً :

ـ لا يمكنهم القضاء علينا بسهولة .. سينهار الاقتصاد العالمى لو فعلوا .

قالت فى صرامة :

ـ وسيفقدون السيطرة على العالم أجمع ، لو لم يفعلوا .

امتقع وجه (ماسومى) ، وهو يقول :

ـ ربّاه ! نحن إذن فى موقف لا نُحسد عليه .

أجابته (سونيا) فى حزم :

ـ بالضبط .

ثم مالت إلى الأمام ، مستدركة :

ـ ما لم ...

اتسعت عيونهم جميعًا ، وهتف (مالينوفيتشى) فى لهفة :

ـ ما لم ماذا ؟!

أجابت فى حزم :

ـ ما لم نسيطر نحن على الأمر أولاً .

سألها (أوكونور) فى توتر :

ـ كيف ؟!

أجابته فى سرعة :

ـ بأن يتم إنتاج القنبلة الذرية الأولى ، فى زمن قياسى .

تبادل الأربعة الكبار نظرة أخرى ، قبل أن يقول (أوكونور) فى توتر :

ـ مازلت أتساءل : كيف ؟!

تألقت عيناها على نحو عجيب ، وهى تميل نحوهم ، متسائلة :

ـ أخبرونى .. كيف سيدرك العالم أننا نمتلك ذخيرة نووية بالفعل ؟!

بدا عليهم الوجوم والحيرة ، فتابعت تجيب سؤالها فى حزم :

ـ عندما نستخدمها بالفعل .

تضاعفت حيرتهم ، وهم ينظرون إلى بعضهم ، قبل أن يسألها (ماسومى) :

ـ وكيف نفعل ، قبل أن يتمّ إنتاجها بالفعل ؟!

تراجعت فى مقعدها ، وعادت عيناها تتألقان ، وهى تقول بابتسامة كبيرة واثقة :

ـ سأخبركم أنا كيف !

قالتها ، وراحت تشرح لهم خطتها الجديدة ..

خطة شيطانية ..

محترفة ..

★ ★ ★

تدفّق البترول فى سرعة ، داخل ذلك المخزن الصغير ، فى قلب (ثندربيرد) ، وراح منسوبه يرتفع على نحو مخيف ، جعل (قدرى) ينهار ، قائلاً :

ـ لا فائدة .. إنها النهاية .

هتفت (منى) فى حزم :

ـ ليس بعد .

كان البترول الأسود قد بلغ نهاية سيقانهم ، ومازال يتدفّق عبْر تلك الفتحات الصغيرة ، بالقرب من السقف ، عندما تحسّست (منى) الجدار بيدها ، قائلة :

ـ هذه الجدران ليست من الصلب .. إنه نوع من الصاج المقوّى .

قال (وصفى) فى توتر :

ـ بالطبع .. إنه مخزن مسروق .

تحسّست الجدار مرة أخرى ، قبل أن تتراجع فى حزم ، وترفع مسدسها ، قائلة :

ـ إنه ليس بصلابة الفولاذ .

أمسك (وصفى) يدها فى سرعة ، هاتفًا :

ـ ماذا تعتزمين أيتها المجنونة ؟! أية شرارة طائشة يمكن أن تشعل النار فى البترول ، الذى يملأ المكان .

جذبت مشط المدفع الآلى فى صرامة ، قائلة :
ـ وما الفارق ؟! هل ستختلف وسيلة موتنا ؟!
اتسعت عيناه لحظة ، قبل أن يقول فى حزم ، وهو يرفع فوهة مدفعه الآلى بدوره :
ـ صدقت .. لا فارق .
كتم (قدرى) أذنيه بكفيه ، عندما انطلقت رصاصاتهما نحو الجدار بمنتهى القوة ..
كان الدوى رهيبًا ، حتى إنه أطلق صرخة عالية متصلة ، امتزجت بصوت ارتطام الرصاصات بجدار الصاج ، قبل أن يهتف (وصفى) فى حماس :
ـ يا إلهى ! كنت على حق أيتها الرائد .
كانت الرصاصات قد صنعت فجوة فى الجدار ؛ انكشف خلفها فراغ كبير ، جعل (منى) تقول فى انفعال :
ـ نحتاج إلى فتحة أكثر اتساعًا .
ثم أشارت بسبابتها خلف ظهرها ، مستطردة :
ـ من أجل (قدرى) .
ألقى (وصفى) نظرة على ذخيرة مدفعه الآلى ، ثم قال فى حزم :

ـ فليكن .
ومرة أخرى ، راحت رصاصاتها تصنع فجوة واسعة فى جدار الصاج ، انساب خلالها البترول ، إلى ذلك الفراغ الغامض ، الذى بدا من الواضح أنه يتسع لثلاثتهم فى سهولة ..
وفى حزم ، هتفت (منى) :
ـ أسرعا .
عاون الاثنان (قدرى) على عبور الفتحة ، ثم عبرت خلفه (منى) ، وبعدها (وصفى) ..
كان ذلك الفراغ عبارة عن ممر طويل ، تمتد فيه مواسير ضخمة ، وأنابيب رفيعة ، فانطلق الثلاثة يعدون عبره ، والبترول المنساب من المخزن المسروق يتدفق تحت أقدامهم ، حتى لهث (قدرى) ، هاتفًا :
ـ إنه لا يقود إلى أى شىء .
قالت (منى) فى صرامة :
ـ هذا مستحيل ! ماذا سيفعلون إذن ، لو احتاجت إحدى هذه المواسير لإصلاح عطب طارئ ؟!
ارتفع حاجباه لحظة فى دهشة ، قبل أن يغمغم :
ـ آه .. أنت على حق .

قبل أن تكتمل عبارته ، وجد الثلاثة أمامهم ضوءًا قويًا ، فى نهاية الممر ، فهتفت (منى) :

- هذا هو المخرج .

أسرعوا إلى مصدر الضوء فى لهفة ، وراح الممر يتسع على نحو منتظم ، حتى صار أشبه بحجرة صغيرة ، انتهت عندها كل المواسير والأنابيب ، التى مالت بصورة عمودية ، لتغوص فى أرضية الحجرة ..

كانت تلك الحجرة مغلقة بباب من الصلب ، له رتاج دائرى ، ككل أبواب السفن ، أما مصدر الضوء القوى ، فكان نافذتين مستديرتين ، تواجهان قرص الشمس مباشرة ..

وفى دهشة ، غمغم (قدرى) :

- عجبًا .. كيف يمكننا رؤية الشمس هنا ؟!

ألقى (وصفى) نظرة على ساعته ، وهو يقول :

- وماذا فى هذا ؟ إننا ما زلنا فى وضح النهار ، و ...

قاطعه (قدرى) فى عصبية :

- لا شأن للوقت بهذا .. هذه الناقلة كانت تقف فى الميناء ، وجانبها الأيسر إلى الرصيف ، وهذا يعنى

أن جانبها الأيمن كان تجاه الشرق ، ونحن الآن عند الجانب الأيمن منها ، وليس من المفترض أن يمكننا رؤية الشمس هنا .

تبادل (وصفى) و (منى) نظرة متوترة ، إثر قوله هذا ، ثم اتجهت (منى) إلى النافذة ، وألقت نظرة عبرها ، قبل أن تلتفت إليهما ، قائلة فى توتر :

- (قدرى) على حق .. لقد أبحرت الناقلة بالفعل .

شهق (قدرى) فى ذعر ، فى حين غمغم (وصفى) فى عصبية :

- أبحرت ؟! هذا يعنى أن سبيل الفرار لم يعد متاحًا .

لوّحت (منى) بمدفعها الآلى ، قائلة :

- هناك حتمًا سبيل للفرار ، مهما بدت الأمور معقّدة أو مغلقة .. هذا ما تعلّمته من خلال عملى مع (أدهم) .. إنه لا يشعر باليأس قط .

هزّ (وصفى) رأسه ، قائلاً :

- لسنا كلنا فى مهارة وخبرة العميد (أدهم) .

أجابته فى حزم :

- ولكن ينبغى لنا أن نتعلّم من خبراته ، ما دام السبيل متاحًا لهذا .

ثم تلفتت حولها ، مستطردة :

ـ سنجد زوارق طوارئ ، أو قوارب نجاة ، أو ...

قاطعها (قدرى) فى عصبية :

ـ وهل سيسمحون لنا بالحصول عليها فى سهولة ؟!

هزت رأسها فى قوة ، مجيبة :

ـ كلا بالطبع .

ثم عادت تمسك مدفعها فى قوة ، مستطردة فى حزم :

ـ سنقاتل باستماتة ، من أجل هذا .

سألها (وصفى) فى اهتمام :

ـ ألديك خطة ما ؟!

ألقت نظرة على البترول ، الذى ينساب تحت قدميها ، قبل أن ترفع عينيها إليهما ، قائلة فى حسم وابتسامة غامضة تتراقص على شفتيها :

ـ بالتأكيد .

قالتها ، واتسعت ابتسامتها الغامضة أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

★ ★ ★

بدا توتر واضح على وجه قائد طاقم حراسة (ثندربيرد) ، وهو يراقب مؤشرات ضخ البترول ، قائلاً :

ـ عجبًا ! كيف يمكن استهلاك كل هذه الكمية ؟!

التفت إليه مساعده ، متسائلاً فى قلق :

ـ ماذا تعنى أيها القائد .

أشار القائد إلى المؤشر الرئيسى ، قائلاً :

ـ إننا نضخ البترول داخل أحد مخازننا المسروقة ، والمفترض أننا نعرف سعته بالضبط ، والمفترض نظرًا لوجود ثلاثة أفراد داخله ، أن تقل سعته الإجمالية ، ولكن ما حدث هو العكس تمامًا .

ردد المساعد ، فى دهشة بالغة :

ـ العكس ؟!

أجابه القائد فى توتر :

ـ نعم .. ضخخنا فيه ما يزيد بالفعل على سعته الإجمالية ، وما زال الضخ مستمرًا ، كما لو أن ...

لم يستطع إكمال عبارته ، فهتف مساعده فى حدة ، وهو يرفع مدفعه الآلى بحركة غريزية :

ـ كما لو أن أحدهم قد فتح ثقبًا كبيرًا فيه .

قفز القائد من مقعده بدوره ، وقبض على مدفعه ، هاتفًا :

ـ يا للشيطان ! أسرع يا رجل .. لقد خدعونا .. هؤلاء الـ ......

قبل أن يتمّ عبارته ، دوى انفجار عنيف داخل الناقلة ، فصاح المساعد :

ـ لقد فعلوها ..

انطلق الاثنان يعدوان نحو سطح الناقلة ، حيث دوى الانفجار ، وبدت لهما النيران المشتعلة عند المقدّمة ، ورجال الحراسة يعدون نحوها ، محاولين إطفاءها ، فهتف القائد فى حنق :

ـ اللعنة ! لقد استخدموا البترول المتسرّب من المخزن المسروق ، لصنع هذا الانفجار .

هتف مساعده ، وهو يتلفّت حوله فى عصبية :

ـ إنها خدعة .. سيجذبون الأنظار إلى هنا ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يصرخ ، مشيرًا إلى الجانب الآخر للناقلة :

ـ يا للشيطان ! إنهم يحاولون الاستيلاء على زورق الطوارئ الرئيسى .

اتسعت عينا قائد الحراسة ، وهو يصرخ :

ـ أسرعوا يا رجال .. امنعوهم من الفرار بأى ثمن .

بلغ هتافه مسامع (منى) و(وصفى) و(قدرى) ، فهتفت الأولى فى حزم :

ـ أسرعا .. لقد انتبهوا إلى ما فعلناه .

كان (قدرى) داخل الزورق بالفعل ، فى حين يسعى (وصفى) و(منى) لإنزاله إلى سطح المحيط ، فصاح (وصفى) فى حزم :

ـ اقفزى داخل الزورق ، سأحاول إنزاله بأسرع ما يمكن .

استدارت بمدفعها الآلى فى سرعة ، وضغطت زناده بكل قوتها ، صائحة :

ـ أنزله أنت ، وسأحمى ظهرك .

انطلقت رصاصاتها فى وجوه طاقم حراسة الناقلة ، فى حين ضغط (وصفى) ذراع الإنزال بكل قوته ، وصاح (قدرى) فى هلع :

ـ ماذا سيحدث الآن ؟! ماذا سيحدث ؟!

أطلق رجال الحراسة رصاصاتهم بدورهم ، وشعرت بها (منى) تتطاير حولها ، وهى تجيب بمثلها ...

ولكن الموقف كان عسيرًا وبالغ الخطورة بالفعل .

والنيران تنهال من كل صوب ..

وبلا رحمة ...

وكان من الواضح أنها لن تنجح أبدا فى التصدى لكل هذا ..

إنها تقف فى العراء ، بمدفع آلى واحد ، شارفت ذخيرته على الانتهاء ، فى مواجهة ستة رجال أقوياء ، يحتمون خلف أماكن شتى ، ويطلقون نيران مدافعهم الآلية نحوها فى شراسة مخيفة ، و ...

وفجأة ، شعرت بيد تجذبها إلى الخلف فى عنف ، مقترنة بصوت (وصفى) ، الذى يهتف فى حزم :

- اذهبى .

اختل توازنها ، مع تلك الجذبة المباغتة ، قبل أن تدفعها يد (وصفى) مرة أخرى ، فتهوى من سطح الناقلة ، لترتطم بالزورق فى عنف ..

وقبل أن يستوعب عقلها ما حدث بالضبط ، كان (وصفى) يضرب ذراع الإنزال بأقصى قوته ، ويلتقط مدفعه الآلى ، ويستدير لمواجهة طاقم الحراسة ، صارخا بكل قوته :

- اذهبا ، قبل فوات الأوان .

ومع الضربة العنيفة لذراع الإنزال ، هوى الزورق بسرعة كبيرة ، ليرتطم بسطح المحيط فى قوة ، و(منى) تصرخ :

- لا يا (وصفى) .. لا ..

أما (قدرى) ، فقد انطلقت من حلقه صرخة قوية ، مع سقوط الزورق ، وتشبث بحافته فى قوة ، عندما ارتطم بالماء ، ثم تراخت عضلاته كلها ، فتهاوى داخل الزورق ، وهو يغالب غيبوبة عنيفة ، هاجمت عقله فى شراسة ..

وعلى سطح الناقلة ، راح (وصفى) يطلق النيران فى قوة وغزارة ، والرصاصات تتناثر من حوله فى عنف ، وترتطم بالأرض والحاجز ..

ثم اخترقت رصاصة معدته ، وأخرى نفذت عبر ذراعه اليمنى ، وثالثة مزقت جزءا من جلد عنقه ..

ولكنه لم يتوقف عن إطلاق النار ..

وبكل قوته ، كرر صرخته :

- اذهبى أيتها الرائد .. اذهبا ، قبل فوات الأوان .

نهضت (منى) داخل الزورق الآلى ، والتقطت مدفعها الآلى ، هاتفة :

- اقفز يا (وصفى) .. اقفز .

جاوبتها صرخة عنيفة من (وصفى) ، قبل أن يندفع جسده خارج الناقلة ، ويهوى في المحيط جثة هامدة ، وقد اخترقته عشرات الرصاصات ..

وبكل ذعر الدنيا ، اتسعت عينا (قدرى) ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى ! يا إلهى ! لقد قتله الأوغاد .

أما (منى) ، فقد حدقت فى جثة (وصفى) لحظة ، ثم لم تلبث أن انتزعت نفسها من كل مشاعرها وتوتراتها ، واندفعت نحو محرك الزورق البخارى ، وجذبت حبل إدارته بكل قوتها ..

ولم يستجب المحرك مباشرة ، فى حين ارتفع وقع أقدام طاقم حراسة الناقلة ، وهم يعدون نحو حافة السطح ، فجذبت (منى) الحبل ثانية ، وثالثة ..

« إنهما هنا .. »

انطلقت صرخة أحد رجال الحراسة ، فى نفس اللحظة التى دار فيها محرك الزورق الآلى ، فصاحت (منى) :

ـ اهبط إلى قاع الزورق يا (قدرى) .

قالتها ، وهى تقفز إلى عجلة القيادة ، وضغطت زر الوقود بكل قوتها ..

وانطلق الزورق يشق طريقه ، وسط مياه المحيط ، وانطلقت خلفه رصاصات رجال الحراسة ..

وضغطت (منى) دوّاسة الوقود أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وبكل قوته ، راح الزورق الآلى يشق المحيط ، و(منى) تهتف فى حماس :

ـ لقد نجونا يا (قدرى) .. نجونا .

ثم سألته فى لهفة :

ـ هل تعتقد أنه ينبغى أن ننطلق نحو اليسار أم ...

بترت سؤالها ، عندما لاحظت أن (قدرى) لم يستجب لعبارتها الأولى ، فالتفتت إليه فى سرعة ، هاتفة :

ـ (قدرى) .. لماذا لم ...

مرة أخرى بترت عبارتها دفعة واحدة ، وانطلقت من حلقها شهقة قوية ..

ففى قاع الزورق الآلى ، كان (قدرى) ملقى على وجهه ، والدماء تنزف فى غزارة ، من ثقبى رصاصتين فى ظهره ، وقد همدت حركته تماما ، على نحو يوحى بأنه قد فقد الوعى ، أو ...
أو الحياة .

★ ★ ★



ففى قاع الزورق الآلى كان (قدرى) ملقى على وجهه ، والدماء تنزف فى غزارة ..

٢ـ الضحـــايا ..

« مستحيل يا سنيورا .. مستحيل !! »

هتف (استروتيسكى) بالعبارة فى توتر بالغ ، قبل أن يضيف فى عصبية ، وهو يلوّح بذراعيه كليهما :

ـ لا يمكن تعديل الجدول على هذا النحو .. إنه نوع من الانتحار .. الرجال لن يمكنهم العمل هكذا ، وإلا فسينهارون حتمًا ، قبل أن نبلغ نصف النجاح .

أجابته السنيورا فى صرامة :

ـ سنمنحهم بعض العقاقير المنشّطة ، والمقويات ، وسنغريهم بمضاعفة رواتبهم ومكافآتهم .. المهم أن يتمّ إنجاز العمل خلال يومين فحسب ، وليس ثلاثة أيام ، مهما كان الثمن .

هزّ (استروتيسكى) رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ الأمر لا يتعلّق بالعاملين والخبراء فحسب .. هناك أمور فنية لا يمكن ضغطها أو اختصارها .. خطوات لا بد أن تسير على وتيرة خاصة ، ولزمن محدود ، وإلا فشلت عملية الإنتاج كلها .

تضاعف توترها فى شدة ، وهى تشعل سيجارتها ، قائلة :

ـ هناك وسيلة ما حتمًا .. لا بد أن تنجز العمل المطلوب ، قبل المدة المحدودة من قبل ، بأى سبيل كان .

قال فى عصبية :

ـ مهما بذلنا من جهد ، فلن يمكننا اختصار أكثر من ست أو سبع ساعات على الأكثر .

تلاقى حاجباها الجميلان لبعض الوقت ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى عصبية بالغة ، قبل أن تشير بيدها ، قائلة فى صرامة :

ـ فليكن .. ابذلوا قصارى جهدكم ، لتحقيق هذا الاختصار .

تنهّد (استروتيسكى) ، مغمغمًا :

ـ سنحاول يا سنيورا .. سنحاول .

أدرك (لورانزو) بغريزته أنه لم يعد هناك ما يقال ، فنهض قائلاً للعالم الإسرائيلى فى شىء من الصرامة :

ـ دعنا لا نضيع الوقت إذن ، ولتعد إلى معملك على الفور .

مطَّ (استروتيسكى) شفتيه فى غضب ، معترضًا على هذا الأسلوب الفظ ، وتطلّع إلى السنيورا ، وكأنه يطالبها بالتدخل ، إلا أنها أشاحت بوجهها ، دون أن تنبس ببنت شفة ، ونفثت دخان سيجارتها فى عصبية ، فانعقد حاجباه فى حنق ، واندفع يغادر المكان ساخطًا ، ولم يكد يغلق الباب خلفه ، حتى قالت السنيورا فى عصبية :

ـ لا بد أن يتم إنتاج دفعة القنابل الذرية الأولى ، قبل الموعد الذى يعرفه الجميع ، وبأى ثمن .

سألها (لورانزو) فى حيرة :

ـ ولكن لماذا يا سنيورا ؟! لماذا ؟!

نفثت دخان سيجارتها بضع لحظات فى صمت ، ثم لم تلبث أن ألقت بقاياها أرضًا ، وسحقتها بقدمها ، وهى تقول :

ـ لأنهم يخطِّطون للانقضاض علينا ، فور إنتاجنا لتلك القنابل .

أمسك مدفعه الآلى فى قوة ، هاتفًا فى انزعاج :

ـ الانقضاض علينا ؟!

أجابته فى عصبية :

ـ نعم يا (لورانزو) .. إنها خطة تلك الأفعى (سونيا جراهام) .. هذا هو التفسير الوحيد لما فعلته .. لقد دفعتنى دفعًا للارتباط بهؤلاء الأربعة الكبار ، وتركتنى أفعل كل ما يحلو لى ، حتى أواجه المخاطر كلها طوال الوقت ، وعندما أنجح فى إنتاج وتنفيذ مشروعى النووى ، ينقضّ رجالها علىّ فى الوقت المناسب ، وتستعيد هى كل شىء .

والتمعت عيناها ببريق الغضب ، وهى تلوِّح بقبضتها فى الهواء ، مستطردة :

ـ ولكن هذا لن يحدث قط .. لن تفوز (سونيا) بالغنيمة ، بعد أن واجهت أنا كل هذا .. لن يتخلص منى هؤلاء الأوغاد بهذه البساطة .. سيعلمون ، عندما تحين اللحظة المناسبة ، أن السنيورا هى التى ستفوز فى النهاية ، على الرغم من كل مؤامراتهم ، وكل ما ..

ارتفع رنين هاتفها الخاص فجأة ، ليبتر عبارتها ، فانعقد حاجباها ، وهى تلتقطه فى سرعة ، قائلة فى صرامة :

ـ من المتحدث ؟!

أتاها صوت (مالينوفيتشى) ، وهو يهتف فى مرح :

- إنه أنا يا جميلتى .. (إيفان) .. إننى أتحدث إليك من الطائرة ، وأنا فى طريق عودتى إلى (موسكو) .. لقد جدّت أمور ، ينبغى أن نلتقى من أجلها .

ازداد انعقاد حاجبيها فى غضب ، وهى تسأله :

- أين كنت يا (مالينوفيتشى) ؟!

أتاها الجواب فى سرعة ، لم تكن تتوقعها :

- فى (نيويورك) يا جميلتى .. كان لدينا اجتماع مشترك مع صديقنا (سام) ..

سألته فى حدة :

- دون أن يبلغنى أحدكم ؟!

قال بلهجة توحى باللامبالاة :

- إنه أمر لا شأن لك به يا جميلتى .. اجتماع لمناقشة مشروعاتنا المشتركة ، و ...

قاطعته فى صرامة غاضبة :

- أية مشروعات مشتركة يا (مالينوفيتشى) ؟! طبقاً لمعلوماتى ، فأنا المشروع الوحيد المشترك بينكم .

قهقه ضاحكاً ، قبل أن يقول :

- إنها نظرة قاصرة للغاية يا سنيورتى ؛ فهناك أمور ومصالح شتى ، تربط رجال الاقتصاد بعضهم بالبعض ، دون أن تكون هناك علاقات مباشرة بينهم .

صمتت بضع لحظات ، ثم قالت فى صرامة :

- ماذا لديك يا (مالينوفيتشى) ؟!

أجابها فى سرعة :

- الكثير يا جميلتى ، ولكنها أمور لا تصلح مناقشتها عبر الهاتف .. سأصل خلال أربع ساعات ، وسأحضر إليك على الفور .. انتظرينى .

قالت فى حزم :

- سأنتظرك يا (مالينوفيتشى) .

ثم أنهت الاتصال ، وقد انعقد حاجباها فى شدة ، فسألها (لورانزو) فى حذر :

- هل من جديد يا سنيورا ؟!

التفتت إليه لحظة فى صمت ، ثم التقطت سيجارة طويلة من علبتها ، وأشعلتها فى شرود ، مغمغمة :

- ترى ماذا وراءك يا (مالينوفيتشى) ؟!

وجلست فى آلية ، على أقرب مقعد إليها ، وراحت تفكر فى عمق ، فاكتفى (لورانزو) بالتطلع إليها ،

دون أن ينبس ببنت شفة ، وهى مستغرقة فى تفكيرها العميق ، قبل أن تنتفض فجأة ، قائلة فى حزم :

- أرسل فى طلب (استروتيسكى) .

قال فى دهشة :

- (استروتيسكى) ؟! ولكنه انصرف منذ لحظات ، و ...

قاطعته فى حدة :

- أرسل فى طلبه .

تراجع فى توتر ، قائلاً :

- أوامرك يا سنيورا .. أوامرك .

اندفع لتنفيذ أوامرها ، فى حين نهضت هى من مقعدها ، وراحت تسير داخل حجرتها فى توتر بالغ ، مغمغمة :

- إذن فهذا ما انتهى إليه اجتماعك معهم يا (سونيا) .. لقد قررتم الإسراع بسحب البساط ، من تحت قدمى السنيورا .. يا لكم من أوغاد سذج .. هل تصورتم أنه من السهل القضاء علىّ .. إننى أعترف بخبرتك المدهشة يا (سونيا) ، ولكن أنا أيضًا لى خبرتى وذكائى .

واتجهت نحو النافذة ، وتطلعت عبرها إلى الثلوج ، التى غابت فى الضوء الخافت ، وهى تتابع فى عصبية :

- لقد أصبحت مسابقة سرعة يا (سونيا) .. من يصل أولاً يفوز بكل شىء .

سمعت شخصًا يتنحنح خلفها ، فاستدارت إليه فى حدة ، صائحة :

- من سمح لك بالدخول ؟!

ارتجف (استروتيسكى) ، وهو يغمغم :

- مستر (لورانزو) أخبرنى أن ...

قاطعته فى غضب :

- كان ينبغى أن تطرق الباب أولاً .

ارتبك الرجل ، قائلاً :

- معذرة .. كان الباب مفتوحًا ، وال ...

قاطعته مرة أخرى فى حدة ، وهى تلوّح بذراعها :

- فليكن .. فليكن ..

ثم سألته فى صرامة :

- ماذا فعلت بشأن اختصار الوقت ؟!

بدت عليه دهشة مستنكرة ، وهو يجيب :

ـ إننا ندرس الأمر الآن ، ويبدو أن اختصار سبع أو ثمان ساعات سوف يؤدى إلى ...

قاطعته مرة ثالثة ، فى صرامة عجيبة :

ـ أربع وعشرين ساعة .

لم يفهم ما تعنيه ، فمال بعنقه إلى الأمام ، قائلاً :

ـ ماذا ؟!

صاحت به فى حدة :

ـ أريد قنبلة ذرية فى قبضتى ، خلال أربع وعشرين ساعة فحسب .

اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يهتف :

ـ أربع وعشرين ساعة ؟! ولكن هذا مستحيل !

صرخت فى غضب هادر :

ـ لا يوجد مستحيل !

احتقن وجه (استروتيسكى) ، وهو يقول :

ـ بل يوجد يا سنيورا .. فى العلم ما زالت هناك أمور كثيرة مستحيلة ، وإلا ما كانت هناك دائمًا حدود للتقدُّم العلمى .

قالت فى حدة :

ـ تلك الحدود تتحطَّم كل يوم ، وإلا ما كان هناك تقدُّم علمى على الإطلاق ..

قال متوترًا :

ـ هذا صحيح ، ولكن عندما تتحطَّم الحدود ، تنشأ حدود جديدة ، وهكذا ..

ضربت سطح مكتبها براحتها فى عنف ، وهى تهتف :

ـ حطِّم هذه الحدود إذن ، ولتنشأ ألف حدود جديدة فيما بعد .

تنهَّد الرجل فى يأس ، وهو يقلب كفيه ، قائلاً :

ـ ماذا تريدين بالضبط يا سنيورا ؟!

تألقت عيناها ، وهى تجيب :

ـ قنبلة ذرية واحدة ، فى أسرع وقت ممكن .

تنهَّد مرة أخرى ، وهزَّ رأسه ، مجيبًا :

ـ يؤسفنى أن أخبرك أن إنتاج قنبلة واحدة كإنتاج عشر يا سنيورا .. لن يمكننا الحصول على نتائج عاجلة ، مهما كانت الظروف .

أطلَّ الغضب من عينيها ووجهها ، فاستدرك فى سرعة :

ـ أو التهديدات .

تضاعف الغضب فى ملامحها بضع لحظات ، حتى

إن الرجل تراجع فى ذعر ، قبل أن ينعقد حاجباها فى تفكير عميق ، وتلوذ بالصمت بضع لحظات أخرى ، ثم تقول فى حزم :

ـ واصل البحث عن وسيلة لاختصار المزيد من الوقت .

انطلقت من صدره زفرة حارة هذه المرة ، وهو يقول :

ـ أمرك يا سنيورا .. أمرك .

ثم أسرع يغادر المكان ، قبل أن تتراجع فى قرارها ، فى حين نفثت هى غضبها وتوترها ، مع دخان سيجارتها ، مغمغمة :

ـ يبدو أنه لا مفرّ من المواجهة يا (سونيا) .

وشردت لحظة ، قبل أن تضيف فى صرامة وحشية :

ـ ولنر من يربح فى النهاية .

نطقتها ، وعيناها تتطلعان إلى ثلوج (سيبيريا) ، التى تمتدّ أمامها بلا حدود ..

تلك الثلوج ، التى صارت بالنسبة إليها أشبه بجدران سجن ضخم ..

أو معتقل جديد ..

معتقل يحمل ذلك الاسم المخيف ..

اسم (سيبيريا) ..

ولكن حتى هذا الاسم ، بكل ما يحمله لها من ذكريات رهيبة ، لم يستطع أن ينتزع من عقلها ذلك السؤال المخيف ، الذى يتردد فى أعماقها بلا انقطاع ..

ترى ما الذى تسعى إليه (سونيا جراهام) هذه المرة ؟!

وفيم تفكّر ، مع هذا الأسلوب الجديد ؟!

فيم ؟!

* * *

تحرك أطباء قسم الطوارئ ، فى مستشفى (نيويورك) التذكارى ، بأقصى سرعتهم ، وهم ينقلون (قدرى) إلى حجرة العمليات ، وأحدهم يهتف بـ (منى) :

ـ حالته سيئة للغاية .. ماذا حدث بالضبط ؟! ومتى أصابته تلك الرصاصات ؟!

أجابته ، وهى تغالب دموعها فى صعوبة :

ـ لقد اصطدمنا ببعض المجرمين فى الميناء .. حاولوا سرقة أموالنا ، فتصدّى لهم ، وكان ما كان ..
لقد حدث هذا منذ نصف الساعة تقريبًا .

هتف الطبيب مستنكرًا :

- نصف الساعة ؟! وأين كنتما طوال هذه الفترة ؟! إن كل دقيقة تمضى قد تعنى حياته كلها .

عجزت عيناها فى تلك اللحظة ، من حبس دموعها ، فانسابت على وجنتيها ، وهى تقول :

- إبذلوا قصارى جهدكم من أجله .. أرجوكم .

تطلع إليها فى إشفاق ، قائلا :

- اطمئنى يا سيدتى .. سنبذل قصارى جهدنا بالفعل ، ولكن ..

لم يكمل عبارته ، واكتفى بهز رأسه ، فانسابت الدموع من عينيها أكثر وأكثر ، وهى تتابع الأطباء ، الذين نقلوا (قدرى) إلى منضدة الجراحة ، وأغلقوا الباب خلفهم ، فى نفس الوقت الذى ارتفع فيه صوت من خلفها ، يقول :

- احم .. سيدتى .. هل يمكننى التحدث إليك لحظة ؟!

التفتت إلى صاحب الصوت ، الذى تابع ، وهو يبرز هويته :

- المفتش (جيم هارلى) ، من الـ ...

ثم بتر عبارته بغتة ، محدقًا فى وجهها ، قبل أن يهتف فى حماس :

- رباه ! لقد التقينا من قبل .. أنت مساعدة (تيم بارثون) .. أليس كذلك يا سيدتى ؟!

أزاحت خصلة شعر عن جبهتها ، وهى تجيب :

- نعم .. أنا هى .

سألها فى اهتمام :

- ماذا حدث بالضبط ؟! إنها ليست معركة مع لصوص ميناء ، كما ذكرت فى التقرير الرسمى .

أجابته متوترة :

- نعم .. إنها ليست كذلك !

تلفت حوله ، ثم مال يسألها فى حذر هامس :

- إنها عملية جديدة .. أليس كذلك ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، فاعتدل فى بطء ، وانتفخت أوداجه ، وهو يقول :

- كنت أعلم هذا .

ثم عاد يميل نحوها ، مستطردًا :

- ولكن بالنسبة للأوراق الرسمية ، سيظل الأمر متعلقًا بالميناء واللصوص .

تنهدت ، مغمغمة :

- هذا أفضل بالتأكيد .

رفع يده يمسك طرف غطاء رأسه ، وهزّه فى رفق ، قائلاً :

ـ فليكن يا سيدتى .. سنلتقى مرة أخرى ، بعد أن يخرج زميلك سالمًا من حجرة العمليات .

غمغمت فى حزن :

ـ أتعشّم هذا .

تركها المفتش منصرفًا ، فألقت جسدها المجهد على أقرب مقعد إليها ، وأسبلت جفنيها فى إرهاق ، وعقلها يتساءل عشرات الأسئلة ..

ترى أين (أدهم) الآن ؟!

ما الذى فعله مع الأربعة الكبار ؟!

وهل يعلم ما أصابها هى و(قدرى) ؟!

من تلك الشقراء ، التى تم استقبالها بكل هذا الترحاب ، على متن ناقلة البترول ؟!

أهى السنيورا ؟!

أم أنها .....

نفضت رأسها فى قوة ، قبل أن يكتمل السؤال الأخير فى ذهنها ، وكأنها تحاول استبعاد ذلك الخاطر فى عنف ..

وبحركة حادة ، اعتدلت على مقعدها ، وأدارت عينيها فيما حولها فى عصبية ..

« معذرة يا سيدتى .. هل أيقظتك ؟! »

قالها رجل نحيل ، حاد الملامح ، كان يهمّ بالجلوس على المقعد المجاور لها ، فهزّت رأسها ، قائلة فى توتر :

ـ كلاّ .. لا شأن لك بالأمر .

ارتسمت على شفتى الرجل ابتسامة لم ترق لها أبدًا ، وهو يجلس ، قائلاً :

ـ أشكرك .

كانت هيئته تبدو لها أشبه بهيئة القتلة المحترفين ، كما يبدون فى الأفلام الرخيصة ، بحلته السوداء ، وقميصه الأسود ، ورباط العنق الرمادى ، الذى يتدلى رفيعًا حتى حزامه العريض ..

ولكنها نفضت الفكرة عن رأسها ، وعادت تغلق عينيها ، وتسبح فى بحر أفكارها العميق ..

أمن الممكن أن تكون (سونيا) على قيد الحياة بالفعل ؟!

ولكن كيف ؟!

وماذا عن ابن (أدهم) ؟!
هل نجا من الموت أيضًا ؟!
وأين هو الآن ؟!
أين ؟!
أين ؟!
قطع أفكارها بغتة صوت خافت ، أيقظ جزءًا آخر من عقلها ، ودفعه للبحث فى ثناياه بسرعة رهيبة ..
إنه صوت معدنى ، أشبه بصوت ارتداد مشط مسدس حديث ، من طراز (سميث ويسون) ، و ...
واستيقظ عقلها كله دفعة واحدة ..
وتراجع رأسها فى حركة غريزية عنيفة ..
وفى نفس اللحظة ، انطلقت الرصاصة ..
واحتك عمود من النار ببطنها وذراعها اليمنى ، قبل أن تتحرك يدها اليسرى فى سرعة البرق ، لتمسك معصم الرجل النحيل ، الجالس إلى جوارها ، وترفع يده الممسكة بالمسدس عاليًا ..
وانطلقت من المسدس ، المزوَّد بكاتم للصوت ، رصاصة أخرى ، اخترقت سقف ممرّ الانتظار ، و(منى) تقفز من مقعدها ، وتدور حول نفسها فى سرعة ، هاتفة :

ـ أيها القاتل الوغد .
قفز النحيل من مقعده فى خفة ، وهوى على فكها بلكمة كالقنبلة ، قائلاً :
ـ ربما كنت قاتلاً .
أصابت اللكمة طرف فكها ، ولكنها كانت من القوة ، بحيث ألقتها أرضًا ، والنحيل يكمل :
ـ ولكننى لست وغدًا .
وأطلقت إحدى الممرضات صرخة رعب ، عندما صوَّب مسدسه المزوَّد بكاتم للصوت نحو (منى) الملقاة أرضًا ، وأطلق رصاصة أخرى .
ومع الصرخة ، تدحرجت (منى) جانبًا ، وسمعت الرصاصة تخترق أرضية الممر ، على قيد سنتيمتر واحد من رأسها ، فوثبت واقفة على قدميها ، وانقضَّت على النحيل ، لتركل المسدس من يده بقفزة ماهرة ، ثم تدور حول نفسها ، وتركله مرة أخرى فى وجهه ..
وسقط النحيل هذه المرة ، فانحنت تلتقط مسدسه ، هاتفة :
ـ انتهت اللعبة يا رجل .

ولكن النحيل ثنى ركبته فى سرعة ، واختطف مسدسًا آخر ، من جراب ملصق بأسفل ساقه ، وهو يصيح :

ـ ليس بعد أيتها المتحذلقة .

انطلقت رصاصة ، مع ميلها جانبًا ، فاخترقت منتصف ذراعها ، ونفذت منها لترتطم بالجدار خلفها ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها رجل أمن المستشفى نحوهما ، وهو ينتزع مسدسه من غمده ، هاتفًا :

ـ قفا .. هذا ليس ميدانًا للقتال .

أدار النحيل فوهة مسدسه إليه فى سرعة ، وأطلق النار ..

واخترقت الرصاصة صدر رجل الأمن ، فانتزعته من مكانه فى عنف ، وألقته ثلاثة أمتار كاملة إلى الخلف ، فانقضت (منى) على النحيل ، وضربت مسدسه الجديد ، هاتفة :

ـ ألا قيمة للحياة فى نظرك أيها الوغد ؟!

اشتبك معها النحيل فى شراسة ، قائلاً :

ـ بل لها قيمة كبيرة بالتأكيد أيتها المتحذلقة ، فأنا أحصل على مقابل ضخم لانتزاعها ، من الأجساد .

كان قوى البنية على نحو عجيب ، على الرغم من نحوله الشديد ، حتى إنه قبض على معصم (منى) بأصابع من فولاذ ، وأجبرها على التخلى عن المسدس ، قبل أن يستطرد فى سخرية :

ـ والآن يا صغيرتى .. هل يمكنك القتال جيدًا ، بدون المسدس ؟!

ارتفعت ركبتها لتغوص فى معدته ، وهى تجيب :

ـ ما رأيك أنت ؟!

انثنى جسده مع قوة الضربة ، فهوت على مؤخرة عنقه بلكمة قوية ، ألقته أرضًا فى عنف ..

ولكن العجيب أنها لم تفقده الوعى ..

لقد ارتطم بالأرض ، ثم ارتد عنها فى سرعة ، كما لو كان مصنوعًا من المطاط المرن ، وانطلق يعدو بكل قوته ، صائحًا :

ـ رأيى أن اليوم غير مناسب للقتال .

انطلقت تعدو خلفه ، فى ممرات المستشفى ، فاندفع يصعد فى درجات السلم قفزًا ، متجهًا نحو السطح ، وهو يتابع :

ـ سنؤجل الصراع إلى يوم آخر .

انطلقت تعدو خلفه إلى السطح ، وتناهى إلى مسامعها هدير هليوكوبتر ، تقترب من المكان ، فى حين أطلق النحيل ضحكة عالية ساخرة ، وهو يقول :

- عظيم .. فى الموعد المناسب بالضبط .

كان قد بلغ السطح ، فى تلك اللحظة ، وانطلق يعدو نحو مهبط الهليوكوبتر ، فزادت (منى) من سرعتها خلفه ، ووثبت ترتطم به ، وتسقطه أمامها ، هاتفة :

- ليس بهذه البساطة أيها الوغد .

استدار إليها النحيل فى سرعة ، ولكمها فى وجهها ، هاتفًا :

- لن تهزمنى امرأة مثلك .

تفادت لكمته هذه المرة ، وهوت على أنفه بلكمة كالقنبلة ، قائلة :

- قل سيدة وليس امرأة أيها الوغد .

تفجرت قبضتها فى أنفه ، فتفجرت منها الدماء فى عنف ، وصرخ النحيل :

- أيتها اللعينة !

هوت على فكه بلكمة ساحقة ، قائلة :

- قول غير مهذب آخر .

تحطمت اثنتان من أسنانه ، مع عنف اللكمة ، وشعر بمذاق الدم فى حلقه ، فهتف مستنجدًا بقائد الهليوكوبتر :

- إلىَّ يا رجل .. إلىَّ ..

بدا لحظة أن قائد الهليوكوبتر سيستجيب لندائه ، إلا أنه لم يلبث أن عدل عن قراره هذا ، وعاد يرتفع بالهليوكوبتر فى سرعة ، فى نفس اللحظة التى تعالى فيها وقع أقدام ، تعدو فوق السطح ، فأحاطت (منى) عنق النحيل بذراعها ، وهى تلتفت إلى وقع الأقدام فى حركة متحفزة ، ولكن بصرها وقع على ثلاثة من رجال أمن المستشفى ، وهم يندفعون نحوها ، وكل منهم يحمل مسدسه ، وأحدهم يشير بيسراه ، هاتفًا :

- رويدك يا سيدتى .. رويدك .. نحن سنتولى الأمر الآن .

دفعت النحيل إليهم ، هاتفة :

- هذا الوغد حاول قتلى .

تلقفه اثنان منهم ، والثالث يشير إليها ، قائلاً :

- نعلم هذا يا سيدتى .. ممرضة قسم الطوارئ أخبرتنا ما حدث .

كان رجلا الشرطة يقيّدان معصمى النحيل خلف ظهره ، وهو يهتف ساخرًا :

- رائع .. لقد أدّت دورها كما ينبغى .

واجهته (منى) ، قائلة فى صرامة :

- السخرية لن تفيد الآن أيها الوغد .. من الشجاعة أن تعترف بالهزيمة ، عندما يبدو الفشل واضحًا للجميع .

قهقه النحيل ضاحكًا فى سخرية ، وهو يقول :

- الفشل ؟! فشل أينا أيتها المتحذلقة ؟! إن مهمتى الأولى لم تكن قتلك ، وإنما إبعادك عن ذلك البدين المصاب بأى ثمن .

اتسعت عينا (منى) عن آخرهما ، وهى تهتف فى ارتياع :

- يا إلهى ! (قدرى) .

انطلق النحيل يقهقه مرة أخرى ، فى سخرية شامتة ، وهى تعدو عائدة بأقصى سرعتها إلى قسم الطوارئ ، ولم تكد تبلغه ، حتى شاهدت أحد الأطباء ملقى أرضًا ، أمام حجرة الجراحات العاجلة ، فى حين كان زميله يهتف فى توتر بالغ :

- إنهم مجانين .. مجانين حتمًا .. لقد انتزعوا المصاب من حجرة الطوارئ عنوة .. إننى لم أر شيئًا كهذا فى حياتى قط .

وامتقع وجه (منى) فى شدة ، وهى تحدّق فى الحجرة الفارغة ..

لقد كان من الواضح أن خطة الأوغاد قد نجحت هذه المرة أيضًا ..

وإلى أقصى حد .

★ ★ ★



٤ـ الأفعى ..

بدا الملياردير اليابانى (دوماسومى) مفعمًا بالحيوية والحماس ، وهو يشير إلى التصميمات البادية على شاشة الكمبيوتر ، قائلاً :

ـ ها هو ذا قمرى الصناعى الأوَّل يا (سونيا) .. أوَّل قمر اتصالات لمؤسسة (ماسومى) .. (ماسو ـ ١) .. الكل يتعامل معه باعتباره فتحًا جديدًا ، بالنسبة لقناتنا التليفزيونية الدولية .

ثم مال يغمز بعينه ، مستطردًا :

ـ ولكن نحن وحدنا نعلم ما يحويه القمر بالفعل .

ارتسمت على شفتى (سونيا) ابتسامة باهتة ، وهى تغمغم :

ـ آه .. بالطبع .

تابع (ماسومى) فى حماس ، دون أن يلتفت إلى فتورها :

ـ ففى هذا الجزء ، الذى يبدو أشبه بآلة بث تقليدية ، يختفى مدفعا ليزر قويين ، قادرين على

تحديد ونسف أى هدف أرضى ، عن طريق التحكُّم الآلى ، و ...

قاطعه (أوكونور) فجأة :

ـ كفى يا (ماسومى) .. من الواضح أن السيِّدة منشغلة بأمر آخر .

بدت دهشة مستاءة على وجه (ماسومى) ، فى حين اعتدلت (سونيا) فى مجلسها بحركة حادة ، وهمَّت بالاعتراض على قول (أوكونور) فى صرامة ، إلا أنها لم تلبث أن عدلت عن هذا ، وقالت فى توتر :

ـ هذا صحيح .

مال (أوكونور) نحوها ، متسائلاً :

ـ ما الذى يشغلك الآن ؟! المفترض أن كل شىء يسير على ما يرام .. (كريستوفرسن) عاد إلى بلاده ، و (مالينوفيتشى) فى طريقه إلى تلك السنيورا ، لتنفيذ الجزء الخاص به ، من خطتك الجهنمية ، ورجل المخابرات المصرى لقى مصرعه فى المحيط ، كما استعدنا ذلك المصرى البدين ، الذى تؤكدين أنه أبرع أهل الأرض ، فى التزييف والتزوير .. ما الذى تريدينه أفضل من هذا ؟!

لوّحت بيدها فى صرامة ، قائلة :

ـ هناك أمر آخر يقلقنى .

سألها (ماسومى) :

ـ مثل ماذا ؟!

صاحت فى حدة :

ـ هذا شأنى وحدى .

بدا الضيق على وجه (ماسومى) ، فى حين قال (أوكونور) فى غضب :

ـ أسلوبك فى التعامل معنا لا يروق لى أبدًا يا سيّدتى .

أشاحت بوجهها ، قائلة فى عصبية :

ـ هذا لا يعنينى كثيرًا .

أجابها فى غضب :

ـ خطأ يا (سونيا) .. هذا يعنيك بالتأكيد .. ربما كنت تملكين الكثير من الوثائق والأوراق ، التى تكفى لإدانة كل منا ، وإلقائه خلف القضبان لسنوات عديدة ، ولكن هذا ليس السبب الرئيسى ، الذى يدفعنا للتعاون معك ، و ...

التفتت إليه بحركة حادة ، قائلة :

ـ هل تريد معرفة السبب الحقيقى ، الذى يدفعكم للتعاون معى يا (سام) ؟!

تراجع الأمريكى فى دهشة ، فتابعت فى عصبية شديدة :

ـ إنه الجشع يا (أوكونور) .. الجشع ، والطمع ، والأنانية ، والرغبة فى السيطرة والسطوة ، وكل المشاعر الأخرى ، التى تملأ النفس البشرية ، وكل نزعاتها وتطلعاتها .. هل فهمت ؟!

اتسعت عيناه عن آخرهما لحظة ، ثم لم يلبث أن استعاد غضبه وصرامته ، وهو يقول :

ـ ما زال أسلوبك لا يروق لى يا سيّدتى .

لوّحت بذراعها فى وجهه ، هاتفة :

ـ إذهب إلى الجحيم إذن .

صدمه قولها ، وكاد ينفجر فى وجهها غضبًا ، لولا أن أمسك (ماسومى) كتفيه ، قائلاً فى صوت خافت :

ـ ليس الآن يا رجل .. ليس الآن ..

ثم أشار بيده إلى حارسه الخاص ، مستطردًا :

ـ (يوتا) .. اصحب السيّدة إلى ...

قاطعته (سونيا) فى شراسة :

ـ لست أحتاج إليه .

ولوَّحت بأصابعها إلى امرأة ممشوقة القوام ، مفتولة العضلات على نحو عجيب ، قاسية الملامح ، شقراء الشعر ، واستطردت :

ـ حارستى الخاصة تكفينى .

ابتسم (يوتا) فى شىء من السخرية ، فى حين هتف (ماسومى) ساخرًا :

ـ حارستك الخاصة ؟! أى قول هذا يا سيِّدتى ؟! النساء لا تصلحن لمثل هذا العمل .. (يوتا) سيصحبك ، ويحميك جيِّدًا .

أجابته (سونيا) فى صرامة أكثر :

ـ (تيجرا) أفضل من (يوتا) ، هذا بالتأكيد .

قال (يوتا) فى غضب :

ـ إننى أستطيع سحقها بسبَّابتى .

زمجرت (تيجرا) فى غضب ، فى حين ابتسمت (سونيا) فى سخرية عصبية ، وأشارت إليها قائلة :

ـ حقًا ؟! دعنا نختبر هذا إذن .

زمجرت (تيجرا) مرة أخرى ، وبرقت عيناها فى جذل واضح ، وهى تتجه نحو (يوتا) بحركة قتالية ،

فى حين اتخذ هو بدوره وقفة خاصة ، مطلقًا صوتًا أشبه بالفحيح ، فهتف (أوكونور) فى حنق :

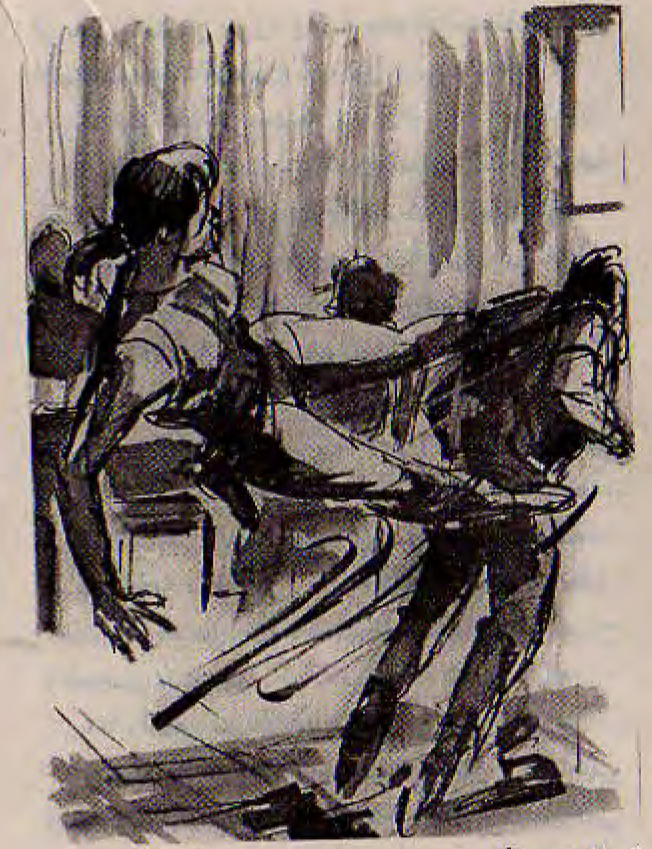
ـ لا أريد قتالاً فى مكتبى .

قبل حتى أن تكتمل عبارته ، كانت (تيجرا) قد انقضَّت على (يوتا) ، مطلقة صرخة قتالية مخيفة ، فمال اليابانى فى مرونة ، ووثب يستقبلها فى خفة ، ولكنها دارت حول نفسها دورة رأسية مدهشة ، انطلقت خلالها قدماها ، تضربان ظهره ومؤخرة عنقه فى آن واحد ..

وعندما اندفع اليابانى إلى الأمام ، هبطت هى على قدميها أرضًا ، ثم وثبت مرة أخرى ، وانثنت ركبتاها ، ثم انفردتا فى قوة ، تضربان ظهر (يوتا) بعنف شديد ، دفعه مرة أخرى إلى الأمام ، ليرتطم بالجدار المقابل ، ويسقط أرضًا ، متشبثًا بلوحة كبيرة ، فصاح (أوكونور) :

ـ لا .. هذه اللوحة كلفتنى مليونى دولار .

لم يبال أحد بصيحته ، و(يوتا) يقفز واقفًا على قدميه ، ثم ينقضّ على (تيجرا) ، التى تراجعت فى خفة ، وتفادت لكمته القوية فى مرونة ، قبل أن تقفز



ثم وثبت مرة أخرى ، وانثنت ركبتاها ، ثم انفردتا فى قوة ،
تضربان ظهر (يوتا) بعنف شديد ..

إلى الخلف ، وترتفع قدماها لتركلا وجهه معًا ،
و ...

« كفى .. » ..

انطلقت الصيحة من بين شفتى (سونيا) ، فى
نفس اللحظة التى سقط فيها (يوتا) أرضًا ،
فزمجرت (تيجرا) كنمرة شرسة ، وكأنما تعترض
على إنهاء القتال ، قبل أن تفترس خصمها تمامًا ،
فابتسمت (سونيا) ، مستطردة :

ـ لقد أثبتنا وجهة نظرنا ، وهذا يكفى .

قلبت (تيجرا) شفتيها ، واتجهت نحو سيدتها ،
فى حين احتقن وجه (يوتا) فى شدة ، وهو ينهض ،
قائلاً فى حدة :

ـ القتال لم ينته بعد .

رمقه (ماسومى) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ كفى يا (يوتا) .

ازداد احتقان وجه (يوتا) ، فى حين التفت سيده
إلى (سونيا) ، وانحنى نصف انحناءة كعادة
اليابانيين ، وهو يقول :

ـ صحبتك السلامة يا سيدتى .

أومأت (سونيا) برأسها ، لترد تحيته ، ثم أشارت بيدها إلى حارستها الخاصة ، دون أن تنبس ببنت شفة ، وغادرتا مكتب (أوكونور) ، الذى كظم غيظه بكل قوته ، حتى انصرفت (سونيا) ، وهبط بها المصعد ، فهتف فى حنق :

- هذه المرأة مجنونة .. إنها ستدمرُنا جميعًا ، لكى تحقق هدفها .

أجابه (ماسومى) فى هدوء :

- إنها عبقرية ، وأنا واثق من أنها ستقودنا إلى قمة العالم حتمًا .

لوَّح (أوكونور) بإبهامه من خلف ظهره ، وهو يعود إلى مكتبه ، قائلاً :

- أمثالها لا يفكرون إلا فى أنفسهم فحسب .

ثم استقرَّ خلف مكتبه ، قبل أن يسأل فى عصبية :

- ما الذى تعتقد أنه يشغلها ؟!

ابتسم اليابانى ، وهو يتخذ مقعدًا وثيرًا ، ويجيب فى هدوء :

- ذلك المصرى .

اتسعت عينا (أوكونور) فى دهشة ، وهو يهتف :

- المصرى ؟! أىّ مصرى ؟! لقد لقى مصرعه ، فى قاع المحيط .

هزَّ (ماسومى) رأسه نفيًا ، وقال :

- إنها ليست واثقة من هذا .

هتف (أوكونور) :

- ليست واثقة ؟! أىّ قول هذا يا رجل ؟! لقد ألقته بنفسها من الطائرة ، على ارتفاع عدة كيلومترات ، دون مظلة هبوط ، ويداه وقدماه مقيَّدة بشرائح من الصلب ، إلى مقعد ثقيل ، فما الذى تريده أكثر من هذا ؛ لتتأكد من مصرعه .

مال (ماسومى) نحوه ، مجيبًا :

- جثته .

تراجع (أوكونور) ، مغمغمًا :

- جثته ؟!

أومأ (ماسومى) برأسه إيجابًا ، وقال :

- أنت نفسك قلتها ، عندما كنا فى الطائرة .. إنها تؤمن بحتمية قتله ، فور الإيقاع به ، وبأن الوسيلة الوحيدة ، للتأكد من موته ، هى رؤية جثته .

قال (أوكونور) متوترًا :

ـ ولقد أوقعت به بالفعل ، فلماذا لم تفعل هذا ؟!
هزَّ (ماسومى) كتفيه ، وابتسم ، قائلاً :
ـ لو أننى فى موضعها لما فعلت .
سأله (أوكونور) مستنكرًا :
ـ ولماذا ؟!
عاد (ماسومى) يميل نحوه مجيبًا :
ـ الشهوة يا صديقى .. شهوة الابتكار .. الرغبة التى تنتاب كلاً منا ، فى أن يحقِّق أهدافه بوسيلة مبتكرة ، لا يدانيه فيها أحد ..
حدَّق (أوكونور) فى وجهه لحظة ، ثم لم يلبث أن تراجع فى مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :
ـ هكذا بدأت أستوعب منطقك يا رجل .
اتسعت ابتسامة (ماسومى) ، وهو يتابع بنفس الهدوء :
ـ جميعنا نشترك فى أمر واحد ، ألا وهو ثقتنا بقدرتنا على الحصول على كل ما نشتهيه ، وربما كان هذا هو السبب الرئيسى ، الذى دفعنا للاشتراك مع السيِّدة (سونيا) ، فى خطتها المعقَّدة ، فصعوبة بلوغ الهدف تمنحنا نشوة خاصة ، تصنع فارقًا متميِّزًا

فى حياتنا ، ولنفس السبب نحاول تحقيق أهدافنا بأسلوب خاص مبتكر ، حتى نشعر بقوتنا وقدرتنا ، و ...
قاطعه (أوكونور) بإشارة من يده ، قائلاً :
ـ فليكن يا رجل .. فليكن .. دعنا نختصر محاضرتك النفسية هذه ، وأخبرنى ما رأيك أنت ؟!
سأله فى حيرة :
ـ بشأن ماذا ؟!
لوَّح (أوكونور) بقبضته ، قائلاً :
ـ هل تعتقد أنه من الممكن أن ينجو ذلك المصرى ؟!
تردَّد (ماسومى) بضع لحظات ، فقهقه (أوكونور) ضاحكًا ، وقال :
ـ لا تتردَّد يا رجل .. قلها بكل وضوح .
ثم مال نحوه ، مستطردًا :
ـ بالنسبة لى ، أنا واثق من أن مستر (أدهم صبرى) يرقد الآن فى قاع المحيط ، وأن هذا يسعد الأسماك الجائعة كثيرًا .
ابتسم (ماسومى) ، وهو يسأله :
ـ إذن فأنت تؤمن بهذا .

لوّح (أوكونور) بذراعه ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

- دون ذرة واحدة من الشك .

سأله (ماسومى) فى سرعة :

- لماذا اختطفتم ذلك البدين مرة أخرى إذن ؟!

هز (أوكونور) كتفيه ، قائلاً :

- إنها أوامرها .

نهض (ماسومى) ، متسائلاً :

- ولماذا لم تأمر بقتله مباشرة ؟! لماذا أصرت على اختطافه فحسب ؟! بل ونقله إلى ذلك المستشفى الصغير ؛ لاستكمال علاجه على أكمل وجه ؟! لماذا تفكر فى الإبقاء عليه حيًا ؟!

انعقد حاجبا (أوكونور) فى توتر ، وهو يقول :

- ربما تحتاج إليه لهدف ما .

أشار (ماسومى) بسبابته ، قائلاً :

- ليس هناك شك فى هذا ، ولكن التساؤل الحقيقى هو نوع الهدف .. أهو هدف يفيد مشروعنا المشترك ، أم ...

بتر عبارته ، وهو يتطلع عبر الجدار الزجاجى إلى

(نيويورك) فهب (أوكونور) من مقعده بحركة حادة ، وأسرع إلى المكان نفسه ، وكأنه يشعر بشىء من الغيرة ، وهو يتساءل :

- أم ماذا ؟!

صمت (ماسومى) لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

- أم أنه هناك أهداف خاصة بها وحدها ؟!

فجر تساؤله الأخير عشرات الأسئلة والمخاوف فى عقل (أوكونور) ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يقف إلى جوار (ماسومى) ، عند الجدار الزجاجى لحجرة مكتبه ، وكلاهما يتطلع فى صمت رهيب إلى المدينة ..

إلى (نيويورك) ..

★ ★ ★

انطلق النحيل يقهقه فى سخرية ، داخل قسم الطوارئ ، فى مستشفى (نيويورك) التذكارى ، وهتف فى شماتة عصبية :

- اعترفى أنك قد خسرت أيتها المتحذلقة .. لعبتنا نجحت حتى النهاية .

احتقن وجه (منى) فى غضب ، فى حين مط المفتش (هارلى) شفتيه ، وهو يقول :

- يبدو أنه على حق يا سيدتى .. لقد نفذوا عمليتهم ببراعة واضحة ، فهاجمك هذا الوغد ، لتشتيت انتباهك ، ودفعك لمطاردته حتى السطح ، فى نفس الوقت الذى انقضَّ فيه رفاقه على حجرة الجراحة ، وحملوا صديقك إلى سيارة إسعاف مجهزة ، انطلقوا بها مبتعدين ، قبل أن ينتبه أحد إلى خطتهم .

قهقه النحيل ضاحكًا مرة أخرى ، وهو يهتف :

- لعبة محترفين بحق .

رمقته (منى) بنظرة صارمة غاضبة ، وهى تقول :

- لو أردت الحفاظ على أسنانك ، فاغلق شفتيك عليها أيها الوغد .

أجابها فى صفاقة :

- ولو أردت أنت الحفاظ على لسانك ، فاصطحبيه عائدة إلى بلادك ، قبل أن يفتك بك زعيمى .

أشارت (منى) إليه ، وهى تقول للمفتش :

- ألا يعتبر هذا تهديدًا ، يعاقب عليه القانون ؟!

هزَّ المفتش كتفيه ، وقال :

- لو ألقينا القبض على كل من يلقى هذا اللغو ، لاحتجنا إلى سجن بحجم (نيويورك) كلها ، لاستيعاب المذنبين .

عاد النحيل يطلق ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

- إنه القانون يا جميلتى .. كل شخص هنا يحميه القانون .. حتى أنا .. لن يمكنهم احتجازى أكثر من أربع وعشرين ساعة ، وبعدها سيتقدَّم المحامى الخاص بنا لـ .....

قاطعته فى صرامة :

- ولكننى لن أوجِّه لك اتهامًا .

التفت إليها الجميع فى دهشة ، وحدَّق النحيل فى وجهها لحظة ، قبل أن يقول :

- دعابة سخيفة .

أجابته فى حزم :

- ليست دعابة أيها الوغد .. إننى لن أوجِّه لك أى اتهام بالفعل .

سألها المفتش فى دهشة :

- هل تعنين أن نطلق سراحه الآن ؟!

هزَّت كتفيها فى برود عجيب ، وهى تقول :

- بالطبع .. لماذا نضيع أربعًا وعشرين ساعة أخرى .

مال المفتش نحوها ، قائلاً :

- أأنت واثقة من هذا ؟!

أجابته فى حزم :

- بكل تأكيد .

اعتدل المفتش فى دهشة بالغة ، ثم أشار إلى رجاله لحل قيود النحيل ، وهو يقول فى توتر شديد :

- أخشى أن تندمى على قرارك هذا يا سيدتى .

ارتسمت على شفتيها ابتسامة صارمة ، وهى تقول :

- اطمئن أيها المفتش .. لست أنا من سيشعر بالندم .

انعقد حاجبا النحيل لحظة ، ثم لم يلبث أن قال فى حدة :

- من حقى إذن أن أنصرف .

أجابه المفتش فى حنق :

- بالتأكيد .

كان النحيل يشعر بحيرة قلقة لموقف (منى) ، إلا أنه حاول أن يخفى انفعاله خلف ابتسامة كبيرة ، بدت عصبية للغاية ، وهو يقول :

- إلى اللقاء يا جميلة .. كان القتال معك ممتعًا .

بدت له ابتسامتها مخيفة ، وهى تقول :

- لن تفتقده طويلاً أيها الوغد .

حدّق فى وجهها لحظة فى توتر ، ثم دار على عقبيه ، وابتعد فى خطوات واسعة ، وهى تتابعه ببصرها ، فى هدوء عجيب ، فسألها المفتش فى قلق :

- ما الذى تعتزمين فعله يا سيدتى ؟!

أدارت عينيها إليه ، مجيبة بهدوء مستفز :

- سأتبع القانون بالطبع أيها المفتش .

لم تلتقط أذنا النحيل عبارتها الأخيرة ، وهو يحث الخطى ، لمغادرة المستشفى ..

كان واثقًا من أن الشرطة ستطلق أحد رجالها فى إثره ، لذا فقد تجاهل سيارته ؛ حتى لا يتم رصد رقمها ، وسار فى خطوات سريعة واسعة ، عبر الشارع الرئيسى ، وتوقّف مرتين ، أمام واجهات المحال الزجاجية الكبيرة ، ليلمح أى شخص يطارده ، ثم انحرف فجأة إلى شارع جانبى ، وانطلق يعدو فيه بأقصى سرعة ، قبل أن يقفز داخل مدخل خلفى لمبنى كبير ، ثم يعبره كالصاروخ إلى المدخل الأمامى ، الذى قاده إلى شارع آخر ، قطعه عدوًا كالمرة الأولى ، وانحرف إلى شارع جانبى صغير ، وهناك ألصق

ظهره بالجدار ، وأطلق ضحكة عالية ساخرة ، وهو يقول :

ـ أراهن على أن هؤلاء الأغبياء يجرون الآن فى كل مكان ، بحثًا عن أىّ أثر لى .

لم يكد يتمّ قوله ، حتى التصقت فوهة مسدس باردة بجانبه ، وسمع صوت (منى) ، تقول فى سخرية :

ـ عجبًا ! ولماذا يفعلون هذا ؟!

انتفض جسده كله فى عنف ، ثم التفت إليها فى بطء مذعور ، وهو يقول بصوت مختنق :

ـ كيف ؟! كيف عثرت علىّ ؟!

ابتسمت فى سخرية ، قائلة :

ـ لا تقلق نفسك بهذا الشأن .

ثم استطردت فى صرامة مباغتة :

ـ ثم إن مهمتك ، من الآن فصاعدًا ، هى أن تجيب الأسئلة ، لا أن تلقيها .

هتف فى توتر :

ـ لست أدرى إلى أين أخذوا البدين .. مهمتى كانت تقتصر على إبعادك فحسب .

دفعت فوهة مسدسها فى عنقه ، وهى تقول فى صرامة :

ـ من أرسلكم ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ مستر (أوكونور) .. (سام أوكونور) .. لقد استأجرنا مساعده ، ذو الشعر الأحمر .. اسمه (بيركنز) حسبما أعتقد .

سألته فى حدة :

ـ وماذا عن الشقراء ؟!

سألها فى ذعر :

ـ أية شقراء ؟! إننى لم أر أية شقراوات !!

صاحت به غاضبة :

ـ اسمعنى أيها الوغد .. لو لم تجب كل أسئلتى ، فسأزين صدغك بثقب أنيق .

هتف فى ارتياع :

ـ لا .. لا يا سيدتى .. أقسم لك إننى لم أقل سوى الحقيقة .. أقسم لك .

ثم انهار بغتة بلا مقدمات ، وهو يتابع :

ـ لا تقتلينى .. أرجوك .. سأفعل كل ما تطلبينه .. كل شىء ، و ...

وفجأة ، انحنى إلى أسفل ، ليبعد صدغه عن فوهة مسدسها ، وترك جسده ينزلق فى خفة ، وهو يقبض على معصمها ، هاتفًا :

- ولكن الظفر بى ليس سهلاً أبدًا .

انطلقت من مسدسها رصاصة ، فى نفس اللحظة التى استلّ فيها خنجرًا ماضيًا ، من جراب خفى فى حزامه ، وانقضّ به على قلبها مباشرة ، وهو يصيح :

- اذهبى إلى الجحيم .

تحرّكت فى سرعة ؛ لتفادى طعنة الخنجر ، وشعرت بالنصل يمزّق جزءًا من سترتها ، قبل أن تهوى على معدته بلكمة كالقنبلة ، ثم تقبض على معصمه ، وتديره فى قوة ، وهو يصرخ :

- لا .. لن تهزمنى امرأة قط .

انطلقت صرخته ، وهو يدير جسده بحركة معقّدة ، ليلكمها فى وجهها ، و ...

وفجأة ، انطلقت من حلقه شهقة قوية ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدّق فى وجهها ذاهلاً ، فى حين ارتفع حاجباها فى انفعال عجيب ، وهى تغمغم :

- ربّاه ! ربّاه !

تراجع النحيل بركبتين مرتجفتين ، وهو يمسك خنجره ، الذى انغرس حتّى مقبضه فى صدره ، مع حركة جسده المفاجئة المعقّدة ، وهتف بصوت مختنق :

- أيتها الـ ... الـ ...

وانطلقت من حلقه شهقة أخرى ، قبل أن يتمّ عبارته ، ثم هوى على وجهه كالحجر ..

وفى نفس اللحظة ، التى ارتطم فيها جسده بالأرض ، ارتفع صوت صارم ، يهتف :

- ألق سلاحك ، وإلا أطلقنا النار .

أدارت (منى) عينيها إلى مصدر الصوت ، ورأت أمامها ثلاثة من رجال الشرطة ، يصوّبون إليها مسدساتهم فى تحفّز ، فهتفت :

- إنها حالة دفاع عن النفس .

كرّر أحدهم ، فى صرامة أكثر :

- ألق سلاحك .

ألقت مسدسها أرضًا ، وهى ترفع ذراعيها فوق رأسها ، قائلة فى توتّر :

- أريد التحدث إلى المفتش (هارلى) .. (جيم هارلى) ، من قسم جرائم القتل .. إنه يستطيع تفهم الوضع كله .

ابتسم أحد رجال الشرطة الثلاثة ، وهو يجذب إبرة مسدسه ، قائلاً فى لهجة تحمل شيئًا من السخرية :

- لن يحدث هذا فارقًا ، يا آنسة (منى) .

انتبهت حواسها كلها ، عندما نطق اسمها الحقيقى ، الذى لم تذكره لأحد قط ، ولمحته يشير إلى زميليه ، فجذب كل منهما إبرة مسدسه بدوره ، والأول يتابع فى سخرية واضحة :

- عندما تصلين إلى الجحيم .

ودوت الرصاصات داخل الشارع الصغير .. فى قلب (نيويورك) .

* * *



٥- خطوة بخطوة ..

ران صمت تام كالمعتاد ، على قسم الاستماع والاستقبال ، فى الطابق الثانى ، من أحد مبانى المخابرات العامة المصرية ، وبدا المساعد الأول لمدير الجهاز شديد الاهتمام والقلق ، وهو يتابع كل ما يرد من (الولايات المتحدة الأمريكية) ..

وبالذات من (نيويورك) ..

وفى توتر بلا حدود ، راجع أحد التقارير الواردة ، قبل أن يندفع مغادرًا المبنى كله ، ويتجه فى خطوات واسعة سريعة إلى المبنى الرئيسى ، حيث مكتب المدير ، الذى استقبله باهتمام وقلق مماثلين ، وهو يسأله :

- هل من أخبار جديدة ؟!

بدا الأسى على وجه المساعد ، وهو يقول :

- لقد فقدنا رجلا آخر .

سأله المدير فى توتر ، وهو يلتقط التقرير :

- من ؟!

أجابه فى حزن :

- (وصفى) .. مدير مكتبنا فى (نيويورك) .. لقد لقى مصرعه ، فى أثناء محاولته إنقاذ (منى) و (قدرى) .

غمغم المدير ، وهو يقرأ التقرير فى لهفة :

- يا للخسارة ! الشهيد الثالث ، منذ بدأت هذه العملية .

وصمت بضع لحظات ، قبل أن يشير بيده ، ويقول ، دون أن يرفع عينيه عن التقرير :

- يا إلهى ! (قدرى) أيضًا مصاب ، وحالته خطيرة .. ربّاه ! لقد تم اختطافه أيضًا ، من مستشفى (نيويورك) التذكارى .

ثم رفع عينيه إلى مساعده ، متابعًا :

- إنها أخبار غير سارة على الإطلاق .

ومال إلى الأمام ، متسائلاً :

- وماذا عن (ن - ١) ؟!

هزّ مساعده رأسه ، مغمغمًا :

- لا توجد أية أخبار جديدة بشأنه .

انعقد حاجبا المدير فى شدة ، وهو ينهض من

خلف مكتبه ، ويتجه إلى النافذة ، ويتطلّع عبرها لبضع لحظات ، قبل أن يقول :

- من الواضح أن الأمور قد تعقّدت للغاية هذه المرة .. (أدهم) مفقود ، ولا توجد أية معلومات بشأنه ، و (قدرى) تم اختطافه ، ونقله إلى مكان مجهول ، والأربعة الكبار ما زالوا يعيثون فسادًا فى الأرض .

غمغم المساعد :

- وكذلك السنيورا .

أشار المدير بيده ، قائلاً :

- ومشروعها النووى مازال مستمرًا ، ويهدّد العالم أجمع بخطر رهيب ، لا فكاك منه قط .

ثم قبض أصابعه ، مضيفًا فى حنق :

- إنه أسوأ وقت يمكن أن يختفى خلاله (ن - ١) .. ترى أين أنت يا (أدهم) .. أتعشّم أن تكون على قيد الحياة ، بعد حضورك اجتماع العمالقة .. لو أنك كذلك فلا تتغيّب طويلاً يا رجل .. غد قبل أن يقتلوا (قدرى) .

تنحنح المساعد فى صوت مسموع ، فالتفت إليه

المدير بنظرة متسائلة ، جعلت الرجل يقول فى سرعة :
ـ معذرة يا سيادة المدير ، ولكننى لست أعتقد أن مختطفى (قدرى) يسعون لقتله .
سأله المدير فى اهتمام :
ـ ماذا تعنى ؟!
أجابه على الفور :
ـ أعنى أنهم لو أرادوا قتله ، لكان من الأيسر أن يفعلوا هذا فى المستشفى التذكارى ، فهناك سيقتحمون المكان ، ويفرغون مدافعهم الآلية فى جسده ، ثم ينصرفون بأقصى سرعة ، دون نقل ، وإسعاف زائف ، وتعقيدات لا داعى لها .
أشار المدير بسبابته ، قائلاً فى حزم :
ـ أنت على حق .. إنهم يريدون الاحتفاظ به لسبب ما .. ربما كورقة رابحة ، فى صراعهم مع (أدهم) ، أو ...
بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، ثم لم تلبث عيناه أن تألقتا ، وهو يقول فى حماس :
ـ هل تعلم ما يعنيه هذا ؟!
هتف المساعد ، فى حماس مماثل :

ـ بالتأكيد .
تابع المدير فى انفعال واضح :
ـ إنه يعنى أن (ن ـ ١) ما زال على قيد الحياة .
والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف :
ـ وأنه ما زال هناك أمل ، فى مواجهة هؤلاء الـ .....
قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع رنين هاتفه الخاص ، فاتجه نحو مكتبه ، والتقط سمّاعته ، قائلاً فى حزم :
ـ ماذا هناك ؟!
والتقى حاجباه ، وهو يستمع إلى محدّثه فى اهتمام ، قبل أن يدير عينيه إلى مساعده ، ويقول فى لهجة تشفّ عن أهمية الموقف :
ـ لقد وصل تقرير عاجل للغاية ، يتعلّق بمشروع السنيورا النووى .
هتف المساعد :
ـ حقًّا ؟!
ثم اندفع نحو الباب ، وغادر المكتب بضع لحظات ، قبل أن يعود حاملاً التقرير ، وهو يقول فى توتر :
ـ إنه تقرير بالغ الأهمية بالفعل .
اختطف المدير التقرير من يده ، وألقى نظرة عليه ، قبل أن يهتف :

- يا إلهى !

أومأ المساعد برأسه إيجابًا ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

وهبط على الحجرة صمت ثقيل رهيب ..

صمت له رائحة مخيفة ..

رائحة الخطر ..

★ ★ ★

من المؤكد أنه لو كان (أدهم) هناك ، فى ذلك الشارع الضيق ، فى قلب (نيويورك) ، لامتلأت نفسه بالفخر ، وهو يشاهد ما فعلته تلميذته ومحبوبته (منى) ..

لقد رأت مسدسات رجال الشرطة الثلاثة مصوبة إليها ، واشتمت فى صوت قائدهم رائحة خطر واضحة ، فتحرك جسدها فى سرعة مدهشة ، ودفعت جثة النحيل بقدمها ، ثم قفزت تنتزع الخنجر من صدره ، وتلقيه بكل قوتها نحو رجل الشرطة الأمامى ..

وأصاب الخنجر مسدس الشرطى ، فألقاه جانبًا فى عنف ، فى نفس اللحظة التى وثبت هى فيها ، وركلت الشرطى بقدمها فى صدره ، ليتراجع فى قوة ، مصطدمًا بزميليه ..

ولم يدر أحد الرجال الثلاثة ماذا حدث بعدها بالضبط ؟!

لقد انقضت عليهم عاصفة عاتية ، وضربت وجوههم وفكوكهم وأنوفهم ..

ثم ضرب إعصار عقولهم بلا رحمة ..

وأظلمت الدنيا بعدها تمامًا ..

أما (منى) ، فقد وثبت خارج ذلك الشارع الضيق ، وانطلقت تعدو فى الشارع الرئيسى بكل قوتها ، وسمعت صوتًا يهتف من خلفها :

- أوقفوها .

لم تلتفت خلفها ، لترى ما يحدث ، وإنما انحرفت بغتة ، واندفعت عبر الطريق المزدحم ، وقفزت فوق مقدمة إحدى السيارات ، ومنها إلى سقف سيارة ثانية ، وثالثة ، قبل أن تثب نحو الرصيف المقابل ، وعبارات الاحتجاج والغضب ترتطم بأذنيها ..

ثم انحرفت فى شارع جانبى آخر ، واخترقت المدخل الخلفى لأحد المبانى ، واندفعت عبر مدخله الأمامى ، ثم وثبت نحو حافلة كبيرة ، و ...

واختفت خلفها تمامًا ..



أما (منى) ، فقد وثبت خارج ذلك الشارع الضيق ، وانطلقت تعدو فى الشارع الرئيسى بكل قوتها ..

وتلفَّت مطاردوها حولهم فى حيرة متوترة ، قبل أن يهتف أحدهم :

ـ أين ذهبت ؟!

أجابه زميله ، وهو يشير إلى الحافلة :

ـ أراهن على أنها قد استقلتها .

كانوا ثلاثة رجال ، اندفعوا يطاردون الحافلة فى إصرار ، وما إن بلغوها ، حتى استلَّ أحدهم مسدسه ، ولوَّح به فى وجه سائقها من الخارج ، صائحًا :

ـ افتح الباب يا رجل .. افتحه وإلا ..

صرخ السائق الأسود ذعرًا ، وانطلقت صرخات الركاب ، تطالبه بعدم فتح أبواب الحافلة ، ولكن ذلك الرجل خارجها صرخ فى ثورة :

ـ افتح أيها الوغد ، وإلا ..

أسرع السائق يفتح الباب ، وهو يغمغم :

ـ معذرة يا سادة .. الرصاصات تخترق الزجاج فى سهولة .

اندفع الرجال الثلاثة داخل الحافلة ، وهم يطلقون صرخات مخيفة ، جعلت الركاب ينكمشون فى ذعر ، والرجال يفحصون الجميع فى عصبية بالغة ، إلى أن هتف أحدهم بوجه محتقن :

- إنها ليست هنا .

اتسعت عيون زميليه فى ارتياع ، وهتف أحدهم فى ذهول :

- أين هى إذن ؟!

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كانت (منى) تتسلل عبر شارع جانبى آخر ، وهى تغمغم ساخرة :

- أراهن على أن هؤلاء الأوغاد يقلبون الحافلة رأسًا على عقب الآن .

مضت فى طريقها بسرعة وتوتر ، ثم استقلت واحدة من سيارات الأجرة ، حتى بلغت ذلك المنزل الآمن ، فى قلب (نيويورك) ، ففتحت بابه ، وهى تهتف :

- (أدهم) .. أأنت هنا ؟!

كانت تتمنى ، من أعمق أعماق قلبها ، أن تجده هناك ، إلا أنها لم تجد جوابًا سوى الصمت التام ، فعضت شفتيها ، مغمغمة :

- أين أنت يا (أدهم) .. إننى أحتاج إليك .

ثم سالت دموعها على وجهها ، وهى تتابع :

- أحتاج إليك بشدة .

أدارت عينيها مرة أخرى ، فى الشقة الخالية ، قبل أن تتجه إلى الكمبيوتر ، وتشعله فى لهفة ، وكلها أمل فى أن تجد عليه رسالة من (أدهم) ..

أية رسالة ..

كانت تشعر بقلق بالغ من أجله هذه المرة ..

إنه لم يظهر قط ، على الرغم من كل ما واجهته من مخاطر ومتاعب ..

وهذا يعنى أنه ليس هناك ..

ليس فى أى مكان ، يمكنه منه متابعة ما يحدث ..

و (أدهم) ليس بالشخص الذى يترك الأحداث تدور من خلف ظهره ، على هذا النحو ..

مهما كانت الأسباب ..

أو حتى المخاطر ..

حتى صفحات الكمبيوتر ، لم تحمل أية إشارة منه ..

ترى أين هو ؟!

أين ؟!

أين ؟!

شعرت بدوار عجيب يكتنف رأسها ، وبغصة تختنق

فى حلقها ، فأسندت رأسها إلى كفها ، وهى تعيد التفكير فى كل ما حدث ..

وبدا لها ذلك النهار طويلا ..

طويلا بلا حدود ..

لقد كانت الثانية عشرة ظهرًا ، عندما هاجمت ناقلة البترول (ثندر بيرد) ..

وهى الآن الخامسة فحسب ..

وخلال هذه الساعات الخمس حدث الكثير ..

والكثير جدًا ..

وها هى ذى تدقّ تمام الخامسة ، وقد اختفى (قدرى) مرة أخرى ، ولقى (وصفى) مصرعه ، ولا يوجد أدنى أثر لـ (أدهم) ..

وهى لا تدرى ماذا تفعل ؟!

كيف تواجه كل هذا ؟!

كيف ؟!

إن القضية الأساسية لم تحسم بعد ..

ومازال الأربعة الكبار بكامل قوتهم ..

ومازالوا يسعون لإتمام مشروع السنيورا النووى ..

وبأصابع مرتجفة ، ضغطت أزرار الكمبيوتر ،

بحثًا عن أية معلومات جديدة ، بشأن الأربعة الكبار ، وراحت تقرأ ما أمامها بصوت خافت :

ـ (مالينوفيتشى) عاد إلى (موسكو) بالفعل ، منذ نصف الساعة ، و(كريستوفرسن) فى طريقه إلى (ملبورن) ، و(ماسومى) ما زال هناك ، يتابع العد التنازلى الأخير لإطلاق القمر الصناعى الأول لمؤسسة (ماسو ـ ١) .. أما (أوكونور) ، فهو معتكف بقلعة (سيتاديل) ، ولم يغادرها ، منذ رحيل (مالينوفيتشى) .

وتنهّدت ، مغمغمة :

ـ لقد انفضّ الاجتماع إذن ، وعاد العمالقة لمتابعة أعمالهم .. ولكن أين السنيورا الشقراء ؟!

وتراجعت فى مقعدها ، وتهدّج صوتها ، وهى تستطرد :

ـ وأين (أدهم) ؟!

كانت غارقة فى أفكارها ، عندما انطلق أزيز خافت من الكمبيوتر ، معلنًا وصول رسالة جديدة ، فاعتدلت بحركة حادة ، وضغطت أحد الأزرار ، قائلة فى انفعال :

ـ رباه ! أهو (أدهم) ، أم ...

لم تستطع إكمال عبارتها ، مع شعور الأسى الذى انتابها ، عندما أخبرها السطر الأول فى الرسالة أنها قادمة من (القاهرة) ، ولكنها ، وعلى الرغم من هذا ، التهمت أسطر الرسالة فى سرعة ..

واتسعت عيناها عن آخرهما ..

فكلمات الرسالة القصيرة ، كانت تؤكد أن السنيورا قد بدأت مشروعها النووى بالفعل ..

وبنجاح ..

★ ★ ★

« خطة عبقرية يا سنيورا .. »

نطق (مالينوفيتشى) العبارة فى زهو ، وهو يضم سبابته وإبهامه ، ويلوّح بأصابعه الثلاثة الأخرى فى وجه السنيورا ، التى سيطرت على أعصابها بكل طاقتها ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى قوة ، قائلة :

ـ حقًا ؟!

شمله حماس شديد ، وهو يلوّح بذراعيه ، قائلاً :

ـ كنت فى طريقى إلى (نيويورك) ، عندما قفز السؤال إلى ذهنى بغتة داخل الطائرة : ترى كيف يؤمن العالم بأن لدينا ذخيرة نووية ؟!

تطلّعت إليه بنظرة خاوية ، فتابع فى حماس :

ـ عندما نستخدمها بالفعل .

ارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة عصبية ، وهى تنفث دخان سيجارتها ، وتلوّح بيدها فى بطء ، قائلة :

ـ يا للعبقرية !

لم ينتبه إلى سخريتها ، وهو يتابع :

ـ وهذا سيحدث بالطبع ، عندما يتم إنتاج قنابلنا الذرية .. ولكن ماذا عن الخطر ، الذى يواجهنا الآن ، بعد أن كشف المصريون علاقتنا بك ؟! إنه أمر شديد الحساسية للغاية ، وينبغى معه أن نسارع بإعلان قوتنا ، فى أقرب فرصة ممكنة ، قبل أن ينتشر الأمر ، وتتألّب علينا كل قوى العالم .

انعقد حاجباها ، دون أن تنبس ببنت شفة ، وبدا التوتر واضحًا ، فى أصابعها الممسكة بالسيجارة ، والدخان الذى يتصاعد من بين شفتيها بلا انتظام ..

ولكن الروسى لم ينتبه إلى هذا أيضًا ، وهو يلوّح بسبابته فى الهواء ، قائلاً :

ـ ولكن المشكلة الحقيقية هى أننا نحتاج إلى يومين

ونصف اليوم ، حتى يتمّ إنتاج الدفعة الأولى من القنابل ، ونصف يوم آخر لاستخدام وإلقاء قنبلتنا الأولى ، وتوجيه الإنذار الرسمى للعالم أجمع ، وهذه فترة طويلة للغاية ، بالنسبة لعالم ينطلق من حولنا بأقصى سرعة ، ويمكن أن تنقلب الأمور فيه رأسًا على عقب ، خلال ساعات محدودة .

قالت فى حذر :

- إننا نعمل بأقصى طاقتنا .

أجابها فى سرعة :

- هذا لا يكفى .

انعقد حاجباها فى غضب ، فتابع :

- لا بد أن نبدأ مشروعنا على الفور ، قبل أن ينقضّ علينا الجميع ، وننتقل من خانة الهجوم إلى الدفاع .

سألته فى عصبية :

- وكيف هذا أيها العبقرى ؟!

أجاب فى سرعة عجيبة ، وكأنه ينتظر السؤال منذ البداية :

- نقنع العالم بأننا قد أنتجنا تلك القنابل الذرية بالفعل .

ابتسمت فى سخرية أكبر ، قائلة :

- حقًا ؟!

تضاعف حماسه ، على الرغم من سخريتها ، وهو يقول :

- ضربة مزدوجة منفذة بمهارة فائقة .. العالم كله يعانى مشكلة التخلص من النفايات النووية .. نواتج المصانع ، والمستشفيات ، ومحطات توليد الكهرباء المتقدمة .. نحن سنخلصهم من كمية ضخمة من تلك النفايات المشعة ، وسنضرب ضربتنا فى الوقت ذاته .

اعتدلت فى مجلسها ، وبدا عليها الاهتمام ، وهى تسأله :

- وكيف هذا ؟!

تألقت عيناه ، وكأنما أدرك نجاحه فى جذب اهتمامها ، وجلس على أقرب مقعد إليه ، وهو يقول :

- سأخبرك كيف .

وضع ساقًا فوق أخرى ، بعد أن اكتسب الكثير من الثقة ، وهو يتابع :

- لقد وقع اختيارنا على صحراء (نيفادا) الأمريكية ،

حيث ستلقى طائراتنا كمية ضخمة من النفايات المشعة فى المنطقة ، وستنقل إليها ، فى الوقت ذاته ثلاثة أطنان من مادة (سى ـ ٤) المتفجرة ، وبعد أن يكتمل وضع كل المتفجرات داخل حفرة ضخمة ، قامت بها آلات شركة (أوكونور) للمقاولات بالفعل ، سيتم إخلاء المنطقة ، وتفجير كل الـ (سى ـ ٤) دفعة واحدة .

ارتفع حاجباها عن آخرهما ، وهو يتابع ، وقد تضاعف حماسه مرتين على الأقل :

ـ وعندما يحدث الانفجار ، ويتم رصد الارتجاج الناشئ عنه ، ترسل برقيات مجهولة المصدر ، إلى كل الأنظمة والحكومات العالمية ، معلنين أننا قد ألقينا قنبلتنا الذرية الأولى ، ونتقدم فيها بمطالبنا ، ونمنح الجميع مهلة قدرها ثلاثة أيام ، قبل أن نلقى قنبلتنا الثانية .

حدقت فى وجهه بدهشة بالغة ، فانطلقت من حلقه ضحكة مجلجلة ، وهو يكمل :

ـ سيحاولون بالطبع التأكد من أقوالنا ، وسيفحصون منطقة الانفجار وما حولها .. وسيجدون النفايات المشعة ،

والحفرة الضخمة ، الناجمة عن الانفجار ، وسيتصورون فى البداية أنها آثار قنبلة ذرية بالفعل .

قالت فى بطء حذر :

ـ لن يخدعهم هذا طويلا .

أجاب فى ثقة :

ـ بالتأكيد ، ولكنه سيشغلهم لبعض الوقت ، وبالتحديد لثلاثة أيام كاملة ، لو دفعنا الرشوة المناسبة .. وهذا كل ما نحتاج إليه من وقت ، وقبل أن يخرج تقريرهم النهائى ، سنكون قد ألقينا قنبلة ذرية بالفعل ، وانحسم الأمر .

ولم تستطع منع نفسها من التحديق فى وجهه بدهشة بالغة هذه المرة ..

لقد كانت الخطة ، التى شرحها على الفور ، عبقرية بالفعل ..

خطة مذهلة ، قادرة بالفعل على خداع العالم أجمع ..

وفى بطء عصبى ، نفثت السنيورا دخان سيجارتها ، وقالت :

ـ فكرة عبقرية يا (مالينوفيتشى) .

اتسعت ابتسامته عن آخرها ، وهو يقول :

ـ ألم أقل لك ؟!

رمقته بنظرة صامتة طويلة ، ثم قالت بنفس البطء :

ـ إنها عبقرية للغاية ، حتى إننى ، لو لم أسمعها من بين شفتيك ، لقلت إنها لا يمكن أن تنبع إلا من عقل شيطانى .. مثل عقل ... (سونيا) .. (سونيا جراهام) .

نطقت الاسم فى بطء شديد ، وهى تتطلع إليه فى إمعان ، لترصد رد فعله ، عندما يسمعه ..

ولقد انتفض جسده كله فى عنف ، مع سماعه اسم (سونيا) ..

ولم يغب عنها هذا الانفعال قط ..

لقد أدركت معه أن كل مخاوفها على حق ، على الرغم من هتاف (مالينوفيتشى) المستنكر :

ـ ومن (سونيا جراهام) هذه ؟!

ابتسمت السنيورا فى سخرية شرسة ، وهى تقول :

ـ ألم تسمع هذا الاسم من قبل ؟!

بدت عليه علامات التفكير بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ أعتقد أننى سمعتك ترددينه ذات مرة ، و ...

قاطعته فى صرامة مباغتة :

ـ مطلقًا .

سألها فى توتر :

ـ ماذا ؟!

أجابته فى حدة ، وهى تلقى سيجارتها بين قدميه :

ـ إننى لم أنطق اسمها أمام أحدكم مطلقًا ، والصحف لم تنشره قط ، ووسائل الإعلام لم تردده على الإطلاق ، فكيف تعرفته ؟!

كان التوتر واضحًا ، فى كل خلجة من خلجات (مالينوفيتشى) ، على الرغم من الابتسامة ، التى حاول أن يخفى بها انفعاله ، وهو يقول :

ـ ومن قال إننى قد تعرفته ؟! ماذا أصابك يا سنيورا ؟! إنه مجرد اسم ! ربما سمعت اسمًا شبيهًا ذات مرة .

همت بقول شىء ما ، إلا أنها لم تلبث أن تراجعت ، وأشعلت سيجارة جديدة ، ونفثت دخانها فى بطء وعمق ، قبل أن تقول :

ـ نعم .. ربما .

ثم اعتدلت فى مجلسها ، واستطردت :

- ولكن الخطة عبقرية بالفعل .

عادت الابتسامة إلى شفتيه ، وهو يقول :

- هذا ما أكده الجميع .

سألته بغتة :

- وماذا عن (أدهم) ؟!

بُهِتَ للسؤال ، وكأنه لم يكن يتوقعه قط ، وقال فى توتر :

- (أدهم) .

أجابته فى حدة :

- نعم .. (أدهم صبرى) .. رجل المخابرات المصرى .. ألم تسمع باسمه أيضًا ؟!

هتف :

- آه .. ذلك المصرى .. لا تقلقى نفسك بشأنه يا سنيورتى .. لقد قتلته الـ .....

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، فهبّت من مقعدها ، تسأله فى صرامة :

- من التى قتلته يا (مالينوفيتشى) ؟!

ارتبك الروسى بضع لحظات ، ثم لم يلبث أن قال فى توتر :

- ألاعيبه يا جميلتى .. ألاعيبه هى التى قتلته .. هذا ما كنت أقصده .. كان ينبغى أن يكون سؤالك هو ما التى قتلته ، وليس من .

انعقد حاجباها فى غضب ، استغرق بضع لحظات ، قبل أن يتلاشى فى ملامحها ، وهى تقول فى برود مباغت عجيب :

- وكيف قتلته ألاعيبه ؟!

ازدرد الروسى لعابه فى صعوبة ، وهو يجيب :

- لقد قام بلعبة بارعة مدهشة ، انتحل خلالها شخصية (بيركينز) .. المساعد الأول لـ (سام أوكونور) ، ولكننا كشفنا أمره ، وألقينا به من الطائرة ، التى عقدنا فيها اجتماعنا .

سألته بنفس البرود :

- حيًا أم ميتًا ؟!

ازدرد لعابه مرة أخرى ، وهو يقول :

- لقد ألقينا به ، من ارتفاع عدة كيلومترات ، و...

قاطعته مكررة سؤالها فى صرامة :

- حيًا أم ميتًا ..

احتقن وجهه ، هو يجيب :

ـ لقد ألقينا به حيًا .

صاحت فى غضب :

ـ أيها الأغبياء ! كيف تقعون فى خطأ كهذا ؟! هل نسيتم القاعدة الأولى ، التى تحدثنا عنها ، بشأن التعامل مع ذلك الرجل ؟! القتل فور رؤيته ..

لقد ردَّدنا هذا القول كثيرًا ، حتى خُيِّل إلىَّ أنكم قد حفظتموه عن ظهر قلب ، فكيف وقعتم فى هذا الخطأ .

هزَّ رأسه فى عصبية ، قائلاً :

ـ من المستحيل أن ينجو يا سنيورا ! لقد لقى مصرعه حتمًا .

قالت فى حدة :

ـ لا توجد حتميات ، عندما نتحدَّث عن رجل مثل (أدهم صبرى) .. إنهم لم يلقِّبوه بلقب (رجل المستحيل) هذا عبثًا .. إنه شخص لا مثيل له فى خيالك كله .

هتف ملوِّحًا بذراعيه كليهما :

ـ وما الذى يمكن أن يفعله (أدهم) هذا الآن ؟! لقد بدأ مشروعنا النووى بالفعل ، ولم يعد هناك ما يمكن فعله .

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول :

ـ بدأ بالفعل ؟! ماذا تعنى ؟!

أجابها فى شىء من الحماس :

ـ لقد ألقينا النفايات النووية ، وفجَّرنا أطنان الـ (سى ـ ٤) ، فى قلب صحراء (نيفادا) بالفعل ، منذ ما يقرب من الساعة .

ارتدت كالمصعوقة ، وهى تهتف :

ـ فعلتم ماذا ؟!

عاد يلوِّح بذراعيه ، قائلاً :

ـ ما شرحته لك يا سنيورا .. الخطوة الأولى تم اتخاذها بالفعل ، والبيان الرسمى بلغ كل الأنظمة والحكومات .. لقد بدأ المشروع النووى ، ولن يلبث العالم أن يقع تحت سيطرتنا الكاملة ، خلال الأيام الثلاثة القادمة .

احتقن وجهها بشدة ، حتى كاد ينفجر ، من فرط الغيظ والحنق والدهشة ، وهى تهتف :

ـ أيها الأوغاد الحمقى .. أيها الـ .. الـ ..

احتبست الكلمات فى حلقها ، فتابع هو متوترًا :

ـ اطمئنى يا سنيورا .. كل شىء تحت السيطرة الكاملة .

خيل إليه أن وجهها قد احتقن أكثر وأكثر ، حتى بدا بلون الدم ، وهى تغمغم :

ـ تحت السيطرة الكاملة ؟!

ثم نفثت دخان سيجارتها فى قوة ، قبل أن تلقيها أرضًا ، وتسحقها بقدمها فى قوة ، ثم تنهض إليه ، قائلة فى غضب مخيف :

ـ كان ينبغى أن تبلغونى أولاً .

شعر بالخوف يتسلل إلى قلبه ، مع صوتها ونظراتها ، فتراجع فى مقعده ، متمتمًا :

ـ لقد تصورنا أن ...

بتر عبارته فى رعب ، وقد بدا له أنها ستنقض عليه ، وتنتزع قلبه من صدره ، كما يفعل وحوش الأساطير القديمة ؛ لذا فقد تفجرت دهشة بلا حدود ، فى كل خلية من خلاياه ، عندما استعادت هدوءها بغتة ، مغمغمة :

ـ عظيم .. هذا أفضل بالتأكيد .

أدهشه ذلك التحول المفاجئ فى انفعالاتها ، وانتابه الشك والقلق بشأنه ، فنهض يلملم معطفه الأسود ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد يا سنيورا .. بالتأكيد .. سأعود الآن إلى (موسكو) ، لمتابعة تطورات الأمور من هناك ، وسأبلغك بالتطورات أولاً فأولاً .

هزت كتفيها ، قائلة :

ـ ونحن هنا سنبذل قصارى جهدنا ؛ لإنجاز العمل فى الوقت المحدود بالضبط .

تمتم فى قلق وشك :

ـ عظيم .. عظيم .

حافظت على ابتسامة جافة ، حتى غادر حجرتها ، ثم اتجهت إلى النافذة ؛ لتراقبه وهو يتجه إلى تلك الهليوكوبتر الكبيرة ، وانعقد حاجباها فى توتر بالغ ، عندما توقف ليتحدث مع الجنرال (ميلوسكى) لبعض الوقت ، قبل أن تقلع به الهليوكوبتر ، عائدة إلى (موسكو) ..

وفى نفس اللحظة ، التى غابت فيها الهليوكوبتر ، فى الأفق المظلم ، دلف (لورانزو) إلى حجرتها ، قائلاً :

ـ كل شىء على ما يرام يا سنيورا .

التفتت إليه ، تسأله فى اهتمام متوتر :

- هل يعمل جهاز التسجيل بكفاءة ؟!

قبض أصابعه ، وفرد إبهامه ، وهو يجيب :

- بالتأكيد .

ثم استطرد فى حماس :

- لقد سجَّل حديثهما كله .

أشارت بأصابعها فى توتر ، قائلة :

- أسمعنى إياه .

وضع (لورانزو) أمامها جهازًا صغيرًا ، وضغط زر الاستعادة ، فارتفع منه صوت (مالينوفيتشى) ، وهو يقول :

- هل يسير كل شىء على ما يرام هنا ؟!

أجابه الجنرال (ميلوسكى) فى صرامة :

- إننا نراقب كل تحركاتهم طوال الوقت ، أيها الرفيق (مالينوفيتشى) .

قال الروسى فى توتر :

- راقب عملية الإنتاج جيدًا ، ونفذ الأوامر ، فور خروج الدفعة الأولى من القنابل .

بدا صوت (ميلوسكى) حازمًا صارمًا ، وهو يقول :

- اطمئن أيها الرفيق .. اطمئن .

كانت محادثة قصيرة ، ولكن السنيورا التقطت منها الكثير ..

الكثير جدًا ..

وفى عصبية بالغة ، أعادت الاستماع إلى التسجيل كاملاً ، ثم قالت فى حزم عصبى :

- من الواضح أنهم سيبدءون خطتهم الخفية ، فور إنتاجنا للدفعة الأولى من القنابل يا (لورانزو) .

سألها فى توتر ، وهى تشعل سيجارة جديدة :

- وماذا علينا أن نفعل يا سنيورا ؟!

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تتطلَّع إليه فى صمت ، ثم لم تلبث أن اتجهت إلى النافذة ، ووقفت تتطلَّع عبرها طويلاً ، قبل أن تجيب فى صرامة ، وهى تنفث دخان سيجارتها ، فى توتر وعصبية بالغين :

- سنترك كل شىء يسير كما أرادوا يا (لورانزو) .

هتف فى دهشة :

- ماذا ؟!

أجابته فى سرعة وصرامة :

- حتى تحين اللحظة المناسبة .

ثم التفتت إليه ، مستطردة :

ـ نفس اللحظة ، التى يتصورون أنها تناسب الانقضاض علىَّ .. عندما يتمّ إنتاج الدفعة الأولى من القنابل الذرية .. نحن سنعرف تلك اللحظة قبلهم ، وسنتحركَ قبل أن يبدءوا تحركاتهم بخطوة واحدة .

واشتعلت عيناها بلهيب مخيف ، وهى تضيف :

ـ وعندئذ ستدرك (سونيا) أنها لم تعد تحتلّ المكانة الأولى كما تتصوَّر ، وأن العالم يحتاج إلى قائدة جديدة .. السنيورا .

نطقتها ، ولهيب عينيها يزداد اشتعالاً ، حتى ليبدو أشبه بالجحيم ..

الجحيم الحقيقى .





٦ ـ الصدمة ..

هبط الليل فى سرعة ، على مدينة (نيويورك) ، التى تألقت بالأضواء ، على نحو منحها مظهرًا أكثر جمالاً وأناقة ، من مظهرها المعتاد فى الصباح ، وسط الزحام الرهيب ، والفوضى بلا حدود ..

وفى شرفة قصرها الواسعة ، على قمة أحد التلال ، جلست (سونيا جراهام) تنفث دخان سيجارتها فى بطء ، وتتطلع إلى المدينة ، وعقلها غارق فى تفكير عميق ..

وبخطوات غير مسموعة ، اقتربت منها حارستها (تيجرا) ، ووضعت أمامها قدحًا من القهوة ، وهى تهمس :

ـ موعد القهوة يا سيدتى .

تطلعت إليها (سونيا) فى شرود ، قبل أن تلتقط قدحها ، وترفعه إلى شفتيها فى صمت ، فهبطت (تيجرا) ؛ لتجلس على الأرض ، عند قدمى سيدتها ، وهى تسألها :

- فيم قلقك ؟!

هزّت (سونيا) رأسها ، قائلة :

- رؤيتى لذلك المصرى أعادت إلىّ ذكريات عديدة .

سألتها (تيجرا) فى اهتمام متعاطف :

- مثل ماذا ؟!

تنهّدت (سونيا) ، واسترخت فى مقعدها ، قائلة :

- الكثير يا (تيجرا) .. الكثير .

خُيّل للمرأة أن (سونيا) ستكتفى بهذا القول المقتضب ، فخفضت عينيها فى صمت ، إلا أنها لم تلبث أن رفعتهما ثانية ، عندما تابعت (سونيا) ، وكأنها تتحدث عن نفسها :

- لقد كنت زوجته يومًا(*) .

ارتفع حاجبا (تيجرا) فى دهشة ، وهمّت بقول شىء ما ، إلا أن (سونيا) لم تمهلها ، وهى تضيف فى خفوت :

- وأم ابنه الوحيد(**) .

تضاعفت الدهشة فى عينى (تيجرا) ، ولكنها لم

(*) راجع قصة (الرجل الآخر) .. المغامرة رقم (٨١) .
(**) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم (٨٤) .

تنبس ببنت شفة ، واكتفت بالاستماع إلى سيّدتها ، التى تابعت ، وكأنها تستعيد ذكرى سعيدة :

- وسيدهشك أننى قاتلت بكل قوتى ذات يوم ؛ لأنقذ حياته(*) .

لم تتمالك (تيجرا) نفسها هذه المرة ، وهى تهتف مستنكرة :

- أنقذت حياته ؟!

ابتسمت (سونيا) ، قائلة :

- لا تجعلى هذا يدهشك .. لقد مضت فترة طويلة ، وكان كل شىء مختلفًا حينذاك .

ثم تلاشت ابتسامتها بغتة ، وحلّت محلها صرامة عجيبة ، تفيض بالغضب والبغضاء ، وهى تضيف فى مقت رهيب :

- ولكن كل هذا ذهب وتبخّر ، ولم يعد لى من هدف فى حياتى كلها ، سوى تدمير هذا الرجل وتحطيمه ، وتكبيده أكبر قدر من العذاب والهوان فى حياته .

غمغمت (تيجرا) :

- إذن فقد حققت انتقامك أخيرًا .

(*) راجع قصة (معركة القمة) .. المغامرة رقم (٨٣) .

صمتت (سونيا) بضع لحظات ، ووجهها يحتقن فى شدة ، قبل أن تقول :

- بل لقد أخطأت ..

ارتفع حاجبا (تيجرا) عن آخرهما ، وهى تهتف :

- أخطأت ؟! أنت ؟!

صاحت (سونيا) فى حدة :

- نعم .. أخطأت يا (تيجرا) .. أخطأت .

ثم ضربت قدح القهوة بيدها ، وألقته إلى نهاية الشرفة ، قبل أن تهتف :

- هذا لا يناسبنى الآن .. أريد كأسًا من الخمر .

- أتاها صوت أنثوى آخر ، يقول :

- لقد أحضرت الزجاجة كلها .

التفتت (سونيا) إلى مصدر الصوت ، حيث تدلف فتاة أخرى إلى الشرفة ، لها نفس قوام وعضلات (تيجرا) ، وهى تحمل زجاجة خمر وكأسًا واحدة ، وضعتها أمام (سونيا) ، وصبت فيها قليلاً من الخمر ، فاستعادت الأفعى ابتسامتها ، وغمغمت :

- أشكرك يا (ليونا) .. لقد أحسنت تقدير الموقف .

ابتسمت (ليونا) مغمغمة :

- أشكرك يا سيدتى .

وعندما جلست أرضًا ، إلى جوار (تيجرا) ، بدا من الواضح أنهما توءمتان متماثلتان ، على نحو مدهش ، حتى لقد بدتا كصورة منعكسة فى مرآة ، و(سونيا) تلقى محتويات الكأس فى حلقها دفعة واحدة ، ثم يحتقن وجهها لحظة ، قبل أن تقول فى توتر :

- نعم .. أخطأت عندما ألقيت (أدهم) من الطائرة حيًا .

قالت (ليونا) فى حيرة :

- ولكنه سيلقى مصرعه حتمًا يا سيدتى .. لا أحد يمكن أن ينجو من سقطة كهذه .

انعقد حاجباها ، وهى تقول فى عصبية :

- ليس بالضرورة .

وصبت لنفسها كأسًا أخرى .. ارتشفت منها رشفة صغيرة هذه المرة ، قبل أن تتابع :

- (أدهم) ليس رجلاً عاديًا .. إنه أستاذ فى مضماره ، وواحد من أفضل الطيارين المقاتلين ،

فى العالم أجمع ، وله تاريخ طويل فى عمليات الإبرار الجوّى ، والهبوط بالمظلات ، وكل مظلى يدرك جيدًا كيفية التعامل مع السقوط ، من ارتفاعات كبيرة ، ويعلم كيف يخفف من سرعته ، ويتحكم فى اتجاهه فى الهواء .

وقلبت شفتها السفلى ، وهى تضيف فى حدة :

ـ ثم إنه سيهبط فى المحيط ، وليس على أرض صلبة .

تبادلتا حارستاها نظرة متوترة ، قبل أن تغمغم (تيجرا) فى حذر :

ـ مازلت أتصور أنه من المستحيل أن ينجو أحد من سقطة كهذه .

قالت (سونيا) فى حدة :

ـ خطأ .. لو أننى فى مكانه لنجوت .

اتسعت عيونهما فى انبهار ، فى حين تابعت هى ، وأصابعها تتراقص فى الهواء :

ـ لهذا اكتفيت باختطاف (قدرى) ، ولم أحاول قتله .. ولهذا أيضًا حرصت على ترك (منى) حرة .. فتحركاتها ، فى محاولة البحث عن (قدرى)

واستعادته ، ستشير إلى ما إذا كان (أدهم) ، بالنسبة إليها ، حيًا أم ميتًا .

غمغمت (ليونا) :

ـ يا للعبقرية !

ابتسمت (سونيا) ، قائلة :

ـ ماذا يمكن أن أكتسب ، من العمل لعشرة أعوام فى (الموساد) إذن ؟!

ثم لوّحت بأصابعها مرة أخرى ، مستطردة :

ـ هل تعلمان أننى كنت الـ ...

قاطعها رنين هاتفها المحمول المباغت ، فعقدت حاجبيها ، ومطت شفتيها ، وهى تلتقطه ، قائلة فى حنق :

ـ ألا يمكن أن يحظى المرء بقليل من الهدوء هنا ؟!

ألقت نظرة على الرقم ، الذى دوّنته شاشة الهاتف المحمول ، ثم ازداد انعقاد حاجبيها ، قبل أن تضغط زر الاتصال ، قائلة فى صرامة :

ـ من المتحدث ؟!

أتاها صوت (أوكونور) ، وهو يقول :

ـ أين أنت يا سيدتى ؟! إنه أنا (سام) .. لقد بحثت عنك طويلا .



قاطعها رنين هاتفها المحمول المباغت فعقدت حاجبيها ، ومطّت شفتيها ، وهى تلتقطه ..

سألته فى صرامة :

ـ من أين تتحدّث يا (أوكونور) ؟!

أجابها فى ضجر :

ـ من أحد أماكنى الخاصة يا سيدتى .. لماذا يقلقك هذا ؟!

صمتت لحظة ، قبل أن تسأله فى حذر :

ـ لماذا كنت تبحث عنى يا (أوكونور) ؟!

أجابها فى بطء وحزم :

ـ يبدو أنهم عثروا على جثة ذلك المصرى .

سرى الانفعال فى كل خلية من خلاياها ، وهى تهبّ من مجلسها ، هاتفة :

ـ عثروا عليها .

أجابها فى هدوء :

ـ نعم .. لقد سقط فى المحيط ، بالقرب من إحدى سفن الصيد التابعة لأسطولى ، وأخرج الرجال جثته من الماء ، وقد تحطّمت كل عظمة من عظام جسده تمامًا .

اتسعت عيناها عن آخرهما ، وانعقد لسانها فى حلقها ، حتى إنها عجزت عن النطق لبضع ثوان ، أطلق (أوكونور) خلالها ضحكة قصيرة ، وقال :

- كنت أعلم أن الخبر سيثير الكثير من انفعالاتك .

انتزعت نفسها من نفسها ، وهى تتمتم :

- بالتأكيد يا (أوكونور) .. بالتأكيد .

لاذ بالصمت لسبع ثوان كاملة ، قبل أن يقول ، فى صوت حمل الكثير من الارتياح :

- عظيم .. هذا يكفى .. لقد تحقق الهدف كاملاً .

لم تفهم عبارته بالتحديد ، وهو ينهى الاتصال ، ولكنها لم تهتم كثيرًا بتحليلها ، وهى تعود إلى مقعدها ، غير مصدقة ما سمعته ..

إذن فقد انتهى أمر (أدهم) أخيرًا ..

بعد سنوات الصراع الطويلة ، انتهى به الأمر منسحقًا ، فى قلب المحيط الأطلنطى ..

يا لها من نهاية غير عادية ، لرجل غير عادى !!

يا له من مصير !!

انتزعها رنين هاتفها المحمول من أفكارها مرة أخرى ، فالتقطته ، وألقت نظرة على شاشته ، قبل أن يرتفع حاجباها فى دهشة ، وتعتدل فى مجلسها بحركة حادة ، وتضغط زر الاتصال ، قائلة :

- عجبًا ! كيف عدت إلى (سيتادل) بهذه السرعة يا (أوكونور) ؟!

أتاها صوته ، وهو يقول فى دهشة :

- أعود إلى ماذا ؟! إننى لم أغادر (سيتادل) قط ، منذ عودتى من اجتماعنا .

اتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تهتف :

- لم تغادرها ؟! من إذن الذى ...

بترت عبارتها بغتة ، قبل أن يكتمل حديثها ، فهتف بها منزعجًا :

- ماذا حدث يا سيدتى ؟!

أجابته فى صرامة ، تحمل الكثير من الغضب :

- لا شىء .. إنه الاتصال الآن ، وسنتحدث فيما بعد .

قالتها ، وهى تقرن القول بالفعل ، وتنهى الاتصال فى عنف ، وقد تحول وجهها إلى صورة مجسمة للغضب والإحباط والثورة ، وهى تهتف :

- اللعنة !

هبت حارستاها واقفتين على الفور ، واتخذت كل منهما وقفة متحفزة ، و (ليونا) تقول :

- أوامرك يا سيدتى .

لم تنبس (سونيا) ببنت شفة ، وعيناها تشتعلان بكل غضب الدنيا وثورتها ..

ولكنها ، وعلى الرغم من صمتها هذا ، كانت قد اتخذت ، وبسرعة خرافية ، قرارًا حاسمًا خطيرًا ..

إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

صداع عنيف ذلك الذى راح يدقّ رأس (منى) بلا هوادة ، وهى تراجع خريطة (نيويورك) للمرة الثالثة ..

أولئك الذين اختطفوا (قدرى) ، لم يحاولوا قتله فى المستشفى ..

لقد حرصوا على حمله سالمًا ، إلى سيارة إسعاف مجهّزة ، وكأنهم يسعون للإبقاء عليه حيًا ..

وهذا يعنى أنهم سينقلونه حتمًا إلى مكان يمكن إسعافه فيه ..

واستكمال علاجه حتى النهاية ..

وطبقًا لحالة (قدرى) ، سيكون هذا المكان حتمًا مستشفى ..

مستشفى صغير مجهول ، فى مكان ما من أطراف (نيويورك) ..

ولكن أين ؟!

أين ؟!

انتقلت من الخريطة الورقية ، إلى شاشة الكمبيوتر ، حيث توجد خريطة إليكترونية لمدينة (نيويورك) ، وطلبت منها حصر كل المستشفيات الصغيرة فى المدينة ..

وبعد ضغطة زر واحدة ، ارتسمت على الشاشة قائمة بأسماء كل المستشفيات فى (نيويوك) وضواحيها ..

وارتفع حاجبا (منى) فى دهشة ، لهذا العدد الضخم من المستشفيات ، فى مدينة واحدة كهذه ..

ولكنها ألقت دهشتها هذه خلف ظهرها ، وهى تضرب أزرار الكمبيوتر مرة أخرى ، بحثًا عن حصر لكل حالات الإصابات ، التى وصلت إلى المستشفيات ، خلال الساعات الأربع الأخيرة ..

وفى هذه المرة كانت دهشتها بالغة بحق ..

صحيح أنها تعلم أن (نيويورك) وهى أكثر مدن العالم عنفًا ، إلا أنها لم تكن تتصوّر قط أن يحدث فيها هذا الكم من الإصابات ، فى ليلة واحدة ..

أكثر من مائتى حالة إصابة تم نقلها إلى المستشفيات ، فى أربع ساعات فحسب ..

وبسرعة ، طلبت (منى) حصر حالات الإصابة بطلقات نارية فحسب ..

وانخفض العدد إلى ست وخمسين حالة ..

وتراجعت (منى) فى مقعدها متوترة حائرة ..

ست وخمسون إصابة بطلقات نارية ، تم نقلها إلى المستشفيات الصغيرة فى (نيويورك) ، خلال أربع ساعات فحسب !!

يا لها من مدينة ؟!

كيف يمكن أن يحيا البشر ، وسط هذا الكم من العنف والقسوة ؟!

كيف يمكن أن .....

لم يكن تساؤلها قد اكتمل بعد ، عندما التقطت مسامعها تلك الحركة الخافتة ، خارج باب الشقة ، فوثبت تلتقط مسدسها ، وانخفضت أرضًا ، محدِّقة فى تلك الفرجة الضيقة أسفل الباب ..

كان من الواضح أن شخصًا ما يتحرك عند الباب ، محاولا اقتحام المكان ..

لا .. بل شخصين ..

لقد عبر الثانى خلف الأول ، فى خفة واضحة ، تشفّ عن روح عدائية ..

واندفعت (منى) فى خفة نحو حجرة النوم ، وفتحت بابها ، فى نفس اللحظة التى اقتحم فيها بعضهم الشقة ، صارخا :

ـ شرطة .

اندفعت داخل الحجرة ، فى نفس اللحظة التى هتف فيها شخص ما :

ـ فتشوا المكان كله .. الحارس أكّد أنها لم تنصرف .

تحرّكت (منى) فى خفة ، وفتحت نافذة الحجرة ، وألقت نظرة على الشارع ، من هذا الارتفاع الشاهق ، وعلى الإفريز الضيق ، الملاصق للنافذة ، ثم لم تلبث أن قفزت من النافذة ، إلى ذلك الإفريز الضيق ، وألصقت ظهرها بالجدار ، وهى تسير عليه فى حذر ، مغمغمة :

ـ لا تنظرى إلى أسفل يا (منى) .. كل شىء سيسير على ما يرام .. (أدهم) فعلها بنجاح من قبل .. هيا .. كل شىء سيتمّ كما أردت ، بإذن الله (سبحانه وتعالى) ..

بلغ مسامعها صوت أحد الرجال فى الداخل ، وهو يقول :

ـ لا يوجد أثر لها هنا .
أجابه صوت مألوف :
ـ إنها هنا .. لا بد أنها تختفى فى مكان ما .
سأله صوت آخر :
ـ ماذا نفعل ، إذا ما قاومت ؟!
أجابه صاحب الصوت المألوف فى صرامة :
ـ أطلقوا عليها النار بلا تردُّد .. إنها مسلَّحة ، ومتهمة بقتل أحد الرجال ، ومقاومة رجال الشرطة أيضًا .
مطَّت (منى) شفتيها ، وانعقد حاجباها فى غضب ، وهى تغمغم :
ـ عظيم .. أصبحت متهمة بالقتل ، وهاربة من العدالة أيضًا يا (منى) ! يا له من موقف !
لم تكد غمغمتها تنتهى ، حتى سمعت شخصًا يصرخ ، من نافذة حجرة نومها المفتوحة :
ـ ها هى ذى .. إنها خارج المبنى ..
ودوت رصاصة ، ارتطمت بالجدار الخارجى ، على قيد سنتيمترات منها ، مع صوت جلبة بالداخل ..
وهنا ، أدركت (منى) أنه لم يعد هناك بد من المواجهة ..

وبمنتهى العنف ..
لذا ، فقد دفعت جسدها نحو زجاج أقرب نافذة إليها ..
نافذة حجرة المعيشة ..
واقتحمت (منى) المكان فى عنف ، وسط عاصفة من الزجاج المتناثر ، وألقت جسدها أرضًا ، وصوت رجل يصك مسامعها ، صارخًا :
ـ احترسوا .
دارت حول نفسها فى سرعة ، وأطلقت النار نحو أقرب صوت إليها ، وسمعت صرخة ألم ، وصوت سقوط جسم ما أرضًا ، مع وقع أقدام يندفع نحوها ، فوثبت واقفة على قدميها ، ورأت رجلين يعدوان نحوها ، فانحنت بحركة آلية ، وسمعت دوى الرصاصات ، وصوت ارتطامها بالجدار خلفها ، وهى تثب نحوهما فى خفة ، وتركل أحدهما فى وجهه مباشرة ، ثم تدور حول نفسها ، وتضرب الثانى فى معدته ، فى نفس اللحظة التى صوَّب فيها آخر مسدسه إليها ..
وكانت وثبتها مدهشة هذه المرة ..

لقد تجاوزت بقفزتها ثلاثة أمتار كاملة ، لتقبض على معصم الرجل ، وتبعد فوهة مسدسه عنها ، وهى تهوى على فكه بلكمة كالقنبلة ، هاتفة :

- ليس بهذه البساطة .

تأوَّه الرجل ، وسقط أرضًا ، وسقطت هى فوقه ، وألصقت مسدسها بأسفل ذقنه ، وهى تهتف فى حدة صارمة :

- كم عددكم ؟!

أجابها مرتجفًا :

- أربعة .. أربعة .. لقد قضيت على الجميع .

تعرَّفت صوته على الفور ، فهتفت فى دهشة :

- المفتش (هارلى) .

دفعها المفتش جانبًا ، وهو ينهض ، قائلاً :

- نعم .. هو أنا أيتها المخادعة .

تركته ينهض ، وهى تصوِّب مسدسها إليه ، متسائلة :

- لماذا أنتم هنا ؟! وكيف توصلتم إلى عنوانى ؟!

هتف بها محنقًا :

- أنت مخادعة .. لقد تأكدت أنك لا تنتمين إلى الـ (سى - آى - إيه) ..

كرَّرت سؤالها فى صرامة :

- كيف توصلتم إلى عنوانى ؟!

أجابها فى حدة ، وهو يعدِّل معطفه :

- أحدهم أرسل إلينا صورتك وعنوانك ، بوساطة (الفاكس) ، بعد أن أخبرنا مندوب من المخابرات المركزية بعدم انتمائك إليهم ، و ...

قاطعته متوترة :

- مهلاً .. ولماذا اتصل بكم مندوب الـ (سى . آى . إيه) ؟! ما الذى دفعه إلى هذا ؟!

صاح بها :

- إنك متهمة بقتل ذلك النحيل ، وبالاعتداء على رجال الشرطة .. ألا يكفى هذا سببًا لاتصال المندوب بنا ؟!

أجابته فى صرامة :

- إننى لم أقتل ذلك النحيل ، أما رجال الشرطة ، فقد حاولوا قتلى ، وكنت أدافع عن نفسى فحسب .

هزَّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

- لا يمكننى أن أصدق هذا .

قالت فى صرامة أكثر :

- لا يهم أن تصدّقه أو لا تصدّقه .. المهم أن تسأل نفسك : من الذى أبلغ المخابرات المركزية بالأمر ؟ ولماذا سعى مندوبها إليكم ؟!

لم يجب سؤالها على الفور ، وإنما بدا وكأنه يتطلّع فى لهفة إلى شىء ما خلفها ، و ...

وانتبهت (منى) فجأة إلى ما يعنيه هذا ..

ومالت جانبًا فى سرعة ، فى نفس اللحظة التى انقضّ فيها عليها رجل شرطة خامس ، وهو يطلق صيحة مخيفة ، فى حين صاح المفتش (هارلى) :

- اقتلها يا (جاك) .. اقتلها على الفور .

ألقت (منى) جسدها أرضًا ، متفادية ذلك الشرطى ، وقفزت قدمها تركله فى معدته ، ثم تغوص فيها ، لتحمله إلى أعلى ، وتلقى به نحو الجدار الخلفى فى عنف ..

وارتطم الشرطى بالجدار ، ثم سقط أرضًا ، ولكنه هبّ واقفًا على قدميه بسرعة مذهلة ، وانقضّ عليها ، كما لو أن شيئًا لم يمسسه بسوء ..

وقبل حتى أن تدير فوهة مسدسها نحوه ، كان يركل المسدس من يدها فى قوة ، ثم يثب نحوها كدب ثائر ..

وفى نفس اللحظة ، التى استقبلت فيها انقضاضته بلكمة كالقنبلة ، فى أنفه مباشرة ، كان المفتش (هارلى) يندفع نحو مسدسها ، ويلتقطه فى خفة ، ثم يصوّبه إليها ..

وبذراعين كالفولاذ ، أحاط الشرطى وسطها وذراعيها ، وراح يعتصر جسدها فى قوة رهيبة ، وهو يطلق ضحكات وحشية ، على الرغم من الدماء ، التى تنزف من أنفه فى غزارة ، فى حين صوّب المفتش (هارلى) مسدسها إليها ، قائلاً فى سخرية متوترة :

- أخيرًا وقعت أيتها المصرية .

هتفت (منى) وهى تقاوم فى استماتة :

- إذن فأنت تعرفنى جيّدًا أيها الوغد .. لقد أتيت للقضاء علىّ خصيصًا .

أجابها فى شراسة :

- بالضبط أيتها الذكية .. أنا هنا للقضاء عليك ،

تحت مظلة من القانون .. لقد اعتديت على رجال الشرطة من قبل ، ومن الطبيعى أن تقاومينا ، وكل الشواهد هنا ستثبت هذا ، ورجالى سيشهدون أننا اضطررنا لقتلك ، دفاعًا عن أنفسنا .. كل شىء قانونى تمامًا .

سألته فى حنق ، وذلك الشرطى يعتصر جسدها أكثر وأكثر :

ـ كم دفعت لك السنيورا ، مقابل خيانة مهنتك ، والقضاء علىّ ؟!

انعقد حاجباه ، وهو يقول :

ـ السنيورا ؟! أية سنيورا ؟! إننى لم أسمع هذا اللقب قط ، فى عالم الجريمة ..

ثم ابتسم فى سخرية ، وهو يجذب إبرة مسدسه ، مستطردًا :

ـ ولكن هذا لا يمنع أننى قد تقاضيت بالفعل ما يكفى لتقاعد رائع ، فى أى وقت أشاء ، وبأفضل ظروف ممكنة .

وصوَّب مسدسه إلى رأسها مباشرة ، وهو يكمل فى صرامة :

ـ مقابل ضغطة زناد واحدة .

قالها ، وسبَّابته تضغط زناد المسدس بالفعل ، وهو يصوِّب فوهته إلى منتصف جبهة (منى) مباشرة ..

وأطلق الموت ضحكة ظافرة عالية ..

ضحكة شملت (نيويورك) كلها ..

بلا استثناء .

★ ★ ★



٧ـ الفـــارس ..

تحسَّس (بيركينز) تلك الكدمة البارزة فى فكه ، وهو يشعل سيجارته ، ثم يدير قداحته ؛ ليشعل سيجارة أخرى لـ (يوتا) ، حارس (ماسومى) ، قبل أن يقول فى ملل :

ـ هل تعتقد أن رئيسينا سيقضيان المزيد من الوقت ، فى اجتماعهما المشترك هذا ؟!

هزَّ (يوتا) رأسه ، مجيبًا :

ـ لست أدرى .

ثم أضاف فى صرامة :

ـ ثم إن هذا لا يعنينى .. مهمتى هى حماية (ماسومى) سان فحسب ، وليس مراجعة تصرفاته وأعماله .

ابتسم (بيركينز) ، قائلاً :

ـ بالتأكيد يا صديقى .. بالتأكيد .

ورمقه بنظرة جانبية ، تحمل لمحة من السخرية ، قبل أن يستطرد :

ـ ولكن هذا لا يمنع من أنهما قد قضيا وقتًا أكثر مما ينبغى ، فى هذا الاجتماع المشترك .

فى نفس اللحظة التى نطق فيها عبارته هذه ، كان (ماسومى) يتطلَّع إلى (نيويورك) ، قائلاً فى توتر :

ـ لا يمكننى أن أفهم ما فعلته معك السيِّدة يا (سام) .. لقد أنهت الاتصال على نحو غير طبيعى ، بعد أن أبدت دهشتها من عودتك إلى هنا ، على الرغم من أنك لم تغادر المكان قط ، منذ عدنا من اجتماعنا معها ، فما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابه (أوكونور) فى عصبية :

ـ ما يعنيه ، وبكل وضوح ، هو أن أحدهم قد أقنعها بأننى لم أكن هنا .

استدار إليه (ماسومى) ، قائلاً :

ـ كيف ؟! ولماذا ؟!

ضغط (أوكونور) أزرار الكمبيوتر الموضوع أمامه ، وهو يقول :

ـ أراهنك على أننا سنجد الجواب هنا فى ملف ذلك المصرى .

انتظر حتى حملت الشاشة صورة (أدهم) ، مع بعض النقاط الرئيسية عنه ، ثم ضغط زرًا آخر ، وهو يتابع :

- الجزء الخاص بقدراته المدهشة ، يؤكد أنه يمتلك حنجرة مرنة للغاية ، حتى إنه يستطيع تقليد أى صوت ، حتى ولو سمعه لمرة واحدة فقط .

سأله (ماسومى) ، فى قلق شديد :

- ما الذى تشير إليه يا (سام) ؟!

أجابه (أوكونور) فى حزم ، وهو يتراجع فى مقعده :

- أعتقد أن السيدة قد تلقت رسالة صوتية الليلة ، أوحت إليها بأننى أتصل بها من مكان آخر .

ارتفع حاجبا (ماسومى) فى دهشة مذعورة ، وهو يقول :

- ومن فعل هذا ؟! ولماذا ؟!

أشار (أوكونور) إلى الشاشة مرة أخرى ، قائلاً :

- شخص يجيد تقليد الأصوات على نحو مدهش ، ويرغب فى تحديد موقع السيدة ، من خلال ذبذبة اتصاله بها .

تراجع (ماسومى) بحركة عنيفة ، كمن أصابته صاعقة ، وهو يقول :

- مستحيل ! هذا يعنى .. يعنى ..

أكمل (أوكونور) فى صرامة عصبية :

- يعنى أن (أدهم صبرى) مازال على قيد الحياة .

خُيِّل إليه أن كل خلية فى جسد اليابانى قد سرى فيها تيار كهربى عنيف ، وهو يحدِّق فيه ذاهلاً ، وأن قدميه قد عجزتا عن حمله ، فبحث عن أقرب مقعد إليه ، وألقى جسده فوقه ، هاتفًا :

- ولكن هذا مستحيل ! مستحيل بحق !

نهض (أوكونور) من خلف مكتبه ، قائلاً :

- ذلك الرجل اعتاد قهر المستحيل .. لقد كنت على حق ، عندما أكدت ضرورة قتله ، قبل إلقائه من الطائرة .

رفع (ماسومى) إليه عينين مرتجفتين ، وهو يسأله :

- ولكن كيف ؟! كيف حصل على رقم هاتف السيدة ؟!

مطَّ (أوكونور) شفتيه ، قائلاً :

- لقد رأيته يعبث بهاتفى الخاص ، وتصورت أنها مجرد واحدة من حماقات (بيركينز) المعتادة ،

ولكن الواقع أنه كان يبحث عن رقم السيِّدة ، المسجَّل في ذاكرة الهاتف المحمول .

ظلَّ (ماسومى) جامدًا ذاهلاً لبضع لحظات ، قبل أن ينهض من مقعده ، ويعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يعود للتطلُّع إلى (نيويورك) ، قائلاً :

ـ لو أن ما تتصوَّره حقيقى يا (سام) ، فهذا يعنى أن الموقف شديد الخطورة بالفعل .

أومأ (أوكونور) برأسه إيجابًا ، وقال فى حزم :

ـ وأن علينا أن نبذل جهدًا أكبر ، فى المرحلة القادمة .

صمت (ماسومى) طويلاً ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فسأله (أوكونور) فى اهتمام بالغ :

ـ فيم تفكِّر يا رجل ؟!

أشار إليه (ماسومى) بيده ، دون أن ينبس ببنت شفة ، على نحو يوحى بأنه غارق فى تفكير عميق لدقيقة كاملة أخرى ، قبل أن يلتفت ، قائلاً :

ـ أعتقد أن لدى خطة مضمونة .

استدار إليه (أوكونور) بجسده كله ، قائلاً :

ـ وما هى ؟!

اتجه إليه (ماسومى) فى خطوات حماسية ، وهو يقول :

ـ لو أن ذلك المصرى ما زال على قيد الحياة بالفعل ، فأوَّل ما سيسعى إليه هو استعادة زميله البدين .

قال (أوكونور) فى لهفة :

ـ بالتأكيد .

ربَّت (ماسومى) على كتفه ، قائلاً فى حزم :

ـ وعندئذ سنضرب الـ ....

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدِّق فى كتف (أوكونور) ، قبل أن يهتف فى انزعاج شديد :

ـ يا للشيطان !

انتفض جسد (أوكونور) وهو يسأل :

ـ ماذا هناك ؟!

أجابه (ماسومى) فى توتر بالغ ، وهو يلتقط شيئًا ما من كتفه :

ـ كارثة يا رجل .. كارثة .

حدَّق (أوكونور) فى ذلك الشىء ، الذى حمله (ماسومى) على راحته ، ثم انتفض جسده فى عنف رهيب ..



والمفتش الخائن (هالى) يصوِّب مسدسه إلى منتصف جبهتها تمامًا ..

لقد كان اليابانى محقًّا تمامًا ، فى وصفه للأمر ..

إنها كارثة ..

كارثة رهيبة ..

وبكل المقاييس ..

★ ★ ★

كل شىء كان يعنى أن هذه هى لحظات (منى) الأخيرة لا ريب ...

ذلك الشرطى العملاق يحيط ذراعيها ووسطها بساعدين قويين ، ككلابتين من الصلب ، ويعتصر جسدها ، حتى تكاد أنفاسها تحتضر فى صدرها ..

والمفتش الخائن (هارلى) يصوِّب مسدسه إلى منتصف جبهتها تمامًا ، وسبَّابته تكاد تعتصر زناده بالفعل ، و ...

وفجأة ، برز ذلك الظلّ الضخم عند الباب ..

وانقضَّ فجأة على المفتش (هارلى) ، وأحاط عنقه بساعده الأيسر ، فى نفس اللحظة التى أمسكت فيها يمناه معصمه ، وأدارته إلى أعلى فى قوة ..

وانطلقت صيحة ألم ، من حلق المفتش ، امتزجت بدوى رصاصته ، التى اخترقت سقف الحجرة ،

قبل أن يحمل ذلك القادم المفتش إلى أعلى ، ثم يلقى به أرضًا فى عنف ..

واتسعت عينا (منى) فى دهشة ، وهى تحدق فى وجه القادم ، فى حين تراجع رجل الشرطة ، الذى يمسك بها ، وتراخى ضغط ذراعيه حول وسطها ، وهو يطلق زمجرة عصبية ، فالتقطت هى نفسًا عميقًا ، وانزلقت من بين ذراعيه فى خفة مدهشة ، فى نفس اللحظة التى انقض عليه فيها ذلك القادم ، دون أدنى صوت ...

وأطلق الشرطى الضخم صرخة قتالية قوية ، ولكن القادم وثب نحوه وثبة مدهشة ، ودفعه أمامه فى قوة ، حتى ضرب به النافذة بمنتهى العنف ..

وارتفعت صرخة رعب هائلة من الشرطى ، وهو يهوى من حالق ، فى حين هتفت (منى) فى دهشة بالغة ، وهى تحدق فى وجه ذلك الشخص ، الذى التفت إليها :

- (بترو) ؟!

تقدم الزنجى العملاق نحوها ، وهو يسألها فى اهتمام :

- أأنت بخير يا سيدتى ؟!

هتفت به مبهورة :

- كيف ومتى أتيت إلى هنا ؟!

أجابها فى سرعة :

- السيدة ارسلتنى إليكما .. لقد أخبرتنى أنها ليست فى حاجة إلى الحماية فى وطنها ، ولكن ربما أمكننى إفادتكما هنا .

غمغمت فى دهشة :

- السيدة أية سيدة ؟!

أجاب حائرًا :

السيدة (جيهان) .. هى التى أرسلتنى إلى هنا .

هتفت فى دهشة :

- (جيهان) ؟! ولكن كيف عرفت هذا العنوان ؟!

أجاب بابتسامة مزهوة :

- سنيور (بليجروسو) أرشدنى إليه .

هتفت فى سعادة :

- هل رأيته ؟! أهو بخير ؟!

هز رأسه نفيًا ، وقال :

- لا .. لم أره يا سيدتى ، ولكننى ذهبت إلى المؤسسة ، وتسلمت خطابًا منه ، يحوى هذا العنوان .

بدت خيبة الأمل واضحة ، فى ملامحها وصوتها ، وهى تقول :

ـ أية مؤسسة ؟!

تضاعفت الحيرة فى ملامحه ، وهو يغمغم :

ـ مؤسسة (أميجو) يا سيدتى .. سنيور (بنيجروسو) طلب منى الاتصال بها ، فور وصولى إلى (أمريكا) .. لقد حصلت على تأشيرة الدخول ، باعتبارى أحد العاملين فيها .

شعرت بالتوتر ، مع خلو إجاباته من أية معلومات مفيدة ، فغمغمت :

ـ على أية حال ، لقد حضرت فى الموعد المناسب تمامًا :

ثم أضافت فى حزم :

ـ وأعتقد أن أفضل ما نفعله الآن هو أن نغادر هذا المكان بأقصى سرعة .

سألها فى حيرة :

ـ إلى أين ؟!

لم تجب تساؤله ، وهى تلتقط حقيبتها ، والكمبيوتر الصغير ، وتندفع مغادرة المكان ، فلحق بها ،

دون أن يلقى أى تساؤل آخر ، وتبعها كحارس أمين ، تاركًا إياها تقوده كيفما يحلو لها ، وذهنها يحمل تساؤلاً واحدًا يكاد يلتهم كيانها كله ..

ترى هل (أدهم) بخير ؟!

ولو أنه كذلك ، فلماذا اختفى تمامًا ؟!

وأين هو الآن ؟!

أين ؟!

لم تتوقف تساؤلاتها لحظة واحدة ، وهى تشق طريقها عبر المبنى ، حتى بلغت (الجراج) ، واندفعت نحو سيارتها ، وهى تقول لـ (بترو) :

ـ سننتقل إلى منزل آمن آخر ، و ...

قبل أن تتم عبارتها ، انطلقت من حلق (بترو) شهقة مكتومة ، قبل أن يندفع إلى الخلف ، ويسقط على ظهره ، مطلقًا حشرجة مخيفة ، والدماء تتدفق فى غزارة ، من ثقب كبير فى صدره .

وقبل أن تستوعب (منى) ما حدث ، شعرت بآلام رهيبة فى كتفها الأيسر ، ورأت عضلاته تتمزق على نحو مخيف ، والدماء تتدفق منها فى عنف ..

وعندما ألقت نفسها أرضًا ، انطلقت رصاصة أخرى ،

من مدفع مزوَّد بكاتم حديث للصوت ، حطَّمت الزجاج الجانبى للسيارة ، التى خلفها تماماً ..

واستوعبت (منى) الموقف بسرعة ..

رجال الشرطة لم يأتوا وحدهم ..

هناك قاتل محترف بصحبتهم ..

بل قاتلان ...

الرصاصة ، التى أطاحت بـ (بترو) ، انطلقت من اتجاه مخالف تماماً لتلك الرصاصة ، التى مزَّقت كتفها اليسرى ..

ومن بين إطارات السيارات ، ألقت (منى) نظرة شاملة على المكان ...

كانت هناك أقدام تتحرَّك فى خفة ، وبلا أدنى صوت ، بين إطارات السيارات ..

ليسوا قاتلين فحسب ..

إنهم ثلاثة ..

بل أربعة ..

أربعة من القتلة المحترفين يسعون خلفها ، داخل المكان ..

وأمسكت (منى) مسدسها فى قوة ، والدماء المنسابة من جرحها تغرق المكان تحتها ..

ومن بين الإطارات ، لمحت أحد القتلة يعدو مقتربًا منها ، وحذاؤه المطاطى يخفى وقع أقدامه تماماً ..

وخلفه بستة أمتار تقريبًا ، كان هناك قاتل آخر ، يتجه إلى اليسار ...

ولم تلمح أقدام القاتلين الباقيين ..

إنهم يدورون حولها إذن ..

يحاولون محاصرتها ..

وقتلها ..

وفى دقة ، صوَّبت (منى) مسدسها إلى قدمى القاتل ، الذى يقترب منها ..

وأطلقت النار ..

ومع دوى رصاصتها ، انطلقت صرخة ألم من القاتل ، وسقط أرضًا بين السيارات ..

وفى نفس لحظة سقوطه ، أطلقت (منى) رصاصتها الثانية ..

وشهق القاتل فى قوة ، عندما اخترقت رصاصتها عنقه ، وسقط رأسه أرضًا ..

وانطلقت رصاصات زملائه الثلاثة كالمطر ، لتخترق زجاج كل السيارات المحيطة بها فى عنف ..

وتناثر الزجاج المحطم حولها وفوقها ..

وأدركت بحاستها المدربة ، أن القتلة الثلاثة سيحذون حذوها حتمًا ، وسيخفضون أعينهم ، للبحث عنها ، بين إطارات السيارات ، لذا رفعت قامتها قليلا ، ومدت يدها عبر الزجاج المكسور ، وفتحت باب السيارة المجاورة ، وتسللت إليها مخفضة رأسها فى حذر ..

ولقد كان حدسها صائبًا إلى أقصى حد ..

لقد بحث القتلة الثلاثة عنها ، بين إطارات السيارات بالفعل ، ثم تبادلوا إشارة صامتة ، تشف من مدى مهارتهم وخبرتهم ، قبل أن يعيدوا انتشارهم مرة أخرى فى المكان ، ويتحركوا بين السيارات فى خفة مدهشة ..

ومع الصمت الرهيب ، الذى ساد المكان ، شعرت (منى) بتوتر أكثر ، وفحصت خزانة مسدسها فى قلق شديد ..

كانت الخزانة تحوى ثلاث رصاصات فحسب ، وهذا يعنى رصاصة واحدة لكل قاتل ..

وإلا ...

ثم إن البقاء فى مكانها سيعنى وقوعها فى قبضتهم حتمًا ..

إنهم يعرفون موقعها ، وسيتجهون حتمًا إليها ..

لا بد ولا مفر إذن من المواجهة ..

مهما كان الثمن ..

وبناء على قرارها هذا ، دفعت باب السيارة ، وقفزت منها فى خفة ، وهى تدير بصرها فيما حولها فى سرعة ..

وفى سرعة وخفة مدهشتين ، استدار القتلة الثلاثة إليها ، وصوبوا نحوها مدافعهم القصيرة القوية ، المزودة بكواتم الصوت الحديثة ..

وضغطت (منى) زناد مسدسها ، وجسمها يثب فى الهواء ..

وانطلقت من المسدس رصاصتان ، اخترقتا جسد أحد القتلة الثلاثة ، وأطاحتا به فى عنف ، ليسقط جثة هامدة ، فى نفس اللحظة التى أطلق فيها القاتلان الآخران رصاصاتهما نحوها ..

وشعرت (منى) بألم فى ظهرها ، وأدركت أن

إحدى رصاصاتهما قد أصابتها ، قبل أن تسقط أرضًا ، بين السيارات العديدة ..

وفى منطقة مكشوفة تمامًا :

ومع عنف السقوط ، وألم الإصابة ، طار مسدسها من يدها ، وانزلق بين السيارات بعيدًا ..

بعيدًا جدًا ..

واستدارت (منى) فى سرعة ، لتواجه خصميها ..

واتسعت عيناها عن آخرهما ..

فعلى مسافة أربعة أمتار منها فحسب ؛ كان القاتلان يقفان ، ويصوّبان إليها مدفعيهما ، و ...

ولم يعد هناك مفرّ من الموت ..

★ ★ ★

« المحطة الأخيرة أيها الأوغاد .. »

انطلقت تلك الصيحة فجأة فى المكان ، قبل أن يضغط القاتلان زنادى مدفعيهما ، فاستدارا بسرعة مدهشة إلى مصدرها ..

ولكن صاحب العبارة وثب نحوهما كالليث ، أن تكتمل استدارتهما .

وبركلتين سريعتين كالبرق ، فقد كل منهما سلاحه ..

ثم تلقَى فك الأوّل لكمة ساحقة ، فى حين غاصت مطرقة من الصلب فى معدة الثانى ، مع صوت صارم ، يقول :

- هذا من أجل (وصفى) .

وهوت صاعقة تحطِّم أنف الأوّل ، فى نفس اللحظة التى انفجرت فيها قنبلة بين عينى الثانى ، وصاحب الصوت يتابع :

- وهذا من أجل (بترو) .

صرخت (منى) ، بكل ما تفجَّر فى أعماقها من لهفة وسعادة :

- رباه ! (أدهم) ! إذن فأنت بخير .. أنت بخير يا (أدهم) .

اندفع نحوها ، بكل لهفته ، هاتفًا :

- أنت بخير ؟!

ثم لمح إصابتى كتفها وظهرها ، فاستطرد فى غضب :

- يا للأوغاد !

تعلَّقت به ، هاتفة :

- لقد كشفوا أمرنا يا (أدهم) ، وتوصّلوا إلى منزلنا الآمن .. إنها السنيورا أليس كذلك ؟!

حملها بذراعيه ، قائلا :

- بل هى (سونيا) .. (سونيا جراهام) .

اتسعت عيناها فى ذهول ، وهى تهتف :

- سـ .. (سونيا) ؟!

اندفع بها نحو سيّارته ، قائلا :

- سأشرح لك كل شىء فيما بعد يا حبيبتى .. المهم أن نسعفك أنت و(بترو) أولاً .

غمغمت ، وهى تقاوم الغيبوبة فى صعوبة :

- (بترو) ؟! أهو ما زال حيًّا ؟ هل ...

لم تتمّ عبارتها قط ..

ولم تسمع جوابه مطلقًا ..

لقد هزمتها تلك الغيبوبة ، قبل أن تكمل سؤالها ، فهوت فى أعماقها ، وغاصت فيها حتى الأعماق ..

ثم فجأة ، خرجت منها ..

وحدّقت فيما حولها بدهشة بالغة ..

كانت ترقد على فراش أنيق وثير ، داخل حجرة جيّدة التأثيث ، توحى بالراحة والاسترخاء فى آن واحد ،

وإلى جوارها يجلس (أدهم) ، الذى ابتسم ، مغمغمًا فى حنان :

- حمدًا لله على سلامتك يا عزيزتى .

سألته فى ضعف :

- أين نحن يا (أدهم) ؟!

تحسّس شعرها ، قائلا :

- فى جناح طبى خاص بنا يا عزيزتى ، فى قلب (نيويورك) .. الجميع هنا مصريون .. اطمئنى .. لقد بذلوا جهدًا ضخمًا ، حتى أمكنهم إنقاذكما ، أنت و(بترو) ، ولكن المسكين ما زال فى حجرة العناية المركّزة ، وسيحتاج إلى يوم كامل ، قبل أن يستعيد وعيه ، فقد كانت إصابته فادحة ، ونجا من الموت بأعجوبة ..

أغلقت عينيها ، مغمغمة :

- حمدًا لله .. حمدًا لله ..

ثم عادت تفتحهما ، مستطردة ، وهى تمسك يده فى حب :

- هل تتخيّل .. لقد تصوّرت فى غيبوبتى ، أنك تخبرنى أن (سونيا جراهام) على قيد الحياة ، وأن ...

بترت عبارتها دفعة واحدة ، مع تلك النظرة التى أطلت من عينيه ، وقالت مذعورة :

- أم أن هذا لم يكن وهمًا .

تنهد ، وهو يومئ برأسه إيجابًا ، ويقول بصوت حمل كل انفعالاته :

- إنها حقيقة يا (منى) .. (سونيا) ما زالت على قيد الحياة .

ثم أضاف فى خفوت :

- وكذلك ابنى .

اختلج قلبها بين ضلوعها ، وشعرت باختلاجته تسرى فى عروقها ، وهى تسأله بصوت اختنقت حروفه فى حلقها :

- هل رأيتها ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وتراجع فى مقعده ، قائلاً :

- كان لقاءً عنيفًا للغاية .. انتهى بإلقائى من طائرة ، تطير على ارتفاع عدة كيلومترات ، فوق المحيط الأطلنطى ، وأنا مقيد إلى مقعد كبير ، بشرائح من الصلب .

اتسعت عيناها فى ذعر ، وهى تهتف :

- يا إلهى ! وكيف نجوت ؟!

هز كتفيه ، قائلاً :

- الله (سبحانه وتعالى) شاء لى أن أفلت من الموت .

واتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

- وعلى يد أعدى أعدائى .

سألته فى لهفة :

- كيف ؟!

تنهد ، وشرد ببصره قليلاً ، وكأنه يستعيد ذكرى بعيدة ، قبل أن يجيب :

- التخلص من القيود كان مشكلة كبرى ، ولكن الله (سبحانه وتعالى) ساعدنى فى التغلب عليها ، واستخدمت بعدها كل ما تعلمته وكل ما خبرته ، خلال سنوات النضال ، واسترجعت كل مهارات الطيران والهبوط بالمظلات ، فى محاولة للتخفيف من صدمة الهبوط ، وعلى الرغم من هذا فقد كان الارتطام بمياه المحيط رهيبًا بحق ، وأظننى غصت لخمسة عشر مترًا على الأقل ، قبل أن تتغلب مقاومة المياه على عنف السقوط ، وأبدأ فى مرحلة الصعود إلى السطح .

وصمت لحظة ، تنهّد خلالها مرة أخرى ، ثم أضاف :

ـ ولكن جسدى لم يحتمل صدمة الهبوط العنيفة ، وحاولت مقاومة الغيبوبة بكل قوتى ، إلاّ أنّ جسدى البشرى انهار تمامًا ، فسقطت فى غيبوبة عميقة .

اختلج قلبها ، وهى تغمغم :

ـ يا إلهى ! وكيف نجوت ؟!

ابتسم ، مجيبًا :

ـ إحدى سفن صيد الأسماك شاهدت جسدى يهبط من السماء ، ويرتطم بالمحيط ، فقفز غوّاصوها خلفى ، وأدهشم أن وجدونى على قيد الحياة ، فحملونى إلى سفينتهم ، وبذل طبيبهم قصارى جهده ، حتى أسعفنى ، وأعاد إلىّ وعيى وعافيتى ، ثم حملنى أحد زوارقهم الآلية إلى الميناء .

وتحوّلت ابتسامته إلى ضحكة ساخرة ، وهو يضيف :

ـ المضحك أن سفينة الصيد هذه تتبع شركة (سيتاديل) ، لمصايد المحيط .

اتسعت عيناها ، وهى تهتف :

ـ (سيتاديل) .

ثم أطلقت ضحكة طويلة ، قبل أن تستطرد :

ـ يا لسخرية القدر ! (سونيا) تلقيك من الطائرة ، وسفينة (أوكونور) تنقذك !

بدا عليه الخشوع ، وهو يغمغم :

ـ ويمكرون ويمكر الله (سبحانه تعالى) بهم .

ثم تنهّد فى حرارة ، وعاد يبتسم ، مستطردًا :

ـ ومن حسن حظى أن وصلتُ إلى المنزل الآمن فى الوقت المناسب .

ارتفع حاجباها فى حنان ، وهى تضغط يده ، قائلة :

ـ إنك تصل دائمًا فى الوقت المناسب .

بدا عليه الأسى ، وهو ينهض ، قائلاً :

ـ لم يكن هذا صحيحًا ، بالنسبة لـ (قدرى) المسكين .

ازدردت لعابها فى توتر ، وهى تقول :

ـ لقد بحثت عنه ، بوساطة الكمبيوتر ، و ...

استوقفها ، قائلاً :

ـ لقد سرت فى الخطوات نفسها يا عزيزتى ، ولكن هذا لم يوصلنى إليه .

امتقع وجهها ، وهى تقول :
- يا إلهى ! كيف سنتوصَّل إليه إذن ؟!
عقد كفيه خلف ظهره ، وهو يقول ، وكأنه يحدِّث نفسه :
- هناك اثنان يعرفان مكانه حتمًا .. (سونيا) و (أوكونور) .
قالت فى توتر :
- لن يمكننا التوصُّل إلى (سونيا) فى سهولة .
صمت لحظة ، قبل أن يقول فى ضيق واضح :
- لقد توصلْت إليها ، وحدَّدت موقعها بالضبط ، بوساطة تعقُّب ذبذبة هاتفها المحمول الخاص ، فى أثناء اتصالى بها .
أدهشها قوله ، مع نبرة الضيق الواضحة فى صوته ، فسألته :
- ماذا إذن ؟!
ارتسم مزيج من المرارة والغضب والحنق ، فى صوته وملامحه ، وهو يجيب :
- لقد رحلت .

اتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تقول :
- رحلت ؟!
أومأ برأسه إيجابًا ، وقال فى صرامة غاضبة :
- كان هذا أفضل ما تفعله ، بعد أن أدركت أننى قد كشفت أمرها ، وحدَّدت موقعها جيِّدًا ... لقد غادرت (نيويورك) كلها بطائرة خاصة ، انطلقت دون إعلان وجهتها ، وأراهن على أن قائدها نفسه لن يعرف هدفها ، إلا بعد أن يرتفع فوق السحب بالفعل .
غمغمت فى حنق :
- يا لها من أفعى !
انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول فى صرامة :
- سأجدها يا (منى) .. سأقلب كل شبر فى الأرض كلها ، حتى أعثر عليها .
ثم عضَّ شفتيه ، مستطردًا :
- وعلى ابنى .
شعرت بمدى ما يعانيه من ألم ، فمدَّت أصابعها تلتقط يده فى حنان ، وهى تغمغم :
- بالتأكيد يا (أدهم) .. بالتأكيد .



اتسعت عيناها ، وهى تحدّق فى وجهه ، دون أن تنبس ببنت شفة ..

شعرت بارتجافة يده بين أصابعها ، وهو يبذل جهدًا خرافيًا ، للسيطرة على مشاعره وانفعالاته ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ ليس أمامنا الآن إذن سوى (أوكونور) .

سألته فى اهتمام :

ـ هل نهاجمه مباشرة ؟!

التفت إليها فى بطء ، قائلاً :

ـ لا تستخدمى صيغة الجمع يا عزيزتى ، فأنت خارج الأحداث ، منذ هذه اللحظة .

هتفت مستنكرة :

ـ مستحيل ! لقد بدأنا هذا العمل معًا ، وسوف ..

قاطعها فى صرامة :

ـ هذا أمر ..

اتسعت عيناها ، وهى تحدّق فى وجهه ، دون أن تنبس ببنت شفة ..

إنها تعلم ، وتدرك ، وتفهم مشاعره ، عندما يتحدّث بهذا الأسلوب ..

وعندما يخاطبها على هذا النحو الرسمى ..

إن هذا يعنى أن كيانه كله قد تشبَّع بالغضب ، والحزم ، والثورة ..

وأن المرحلة التالية من الصراع ستكون رهيبة بحق ..

وإلى حد مخيف ..

للغاية .

★ ★ ★



٨ـ الجولة الجديدة ..

لم تنطق (سونيا) حرفًا واحدًا ، منذ استقلّت طائرتها الخاصة ، وحتى بلغت الطائرة منتصف القارة الأمريكية الشمالية تقريبًا ..

كانت تشعر بغضب شديد ؛ لأن (أدهم) قد نجا من الموت هذه المرة أيضًا ، ولأنه اضطرّها إلى مغادرة (نيويورك) على هذا النحو ...

إنها لم ترغب فى خوض جولة جديدة معه ، فى ظلّ هذه الظروف ..

ليس قبل أن ينجح ذلك المشروع ، الذى بذلت من أجله كل ما بذلت ..

لقد أشعلت الفتيل بالفعل ، بذلك الانفجار الوهمى ، الذى صنعته فى صحراء (نيفادا) الأمريكية ..

ولم يعد هناك مجال للتراجع ..

لا بد من المضى إلى الأمام ..

وحتى النهاية ..

على الرغم من (أدهم صبرى) ..

ومن أنف العالم أجمع ..

ودون أن تدرى ، انطلق عقلها يسترجع كل ذكرياتها عنه ..

تذكرت لقاءهما الأول(*) ..

وصراعهما الطويل ، العنيف ، الرهيب ..

تذكرت كيف عثرت عليه ذات يوم فاقد الذاكرة ، فى قلب (المكسيك)(**) ..

وكيف كان فى قبضتها ، ويمكنها أن تفعل به ما تشاء ..

ولكن العجيب أنها لم تمسسه بأدنى سوء حينذاك ..

لقد تفجّر فى أعماقها بغتة جانب سرى ، ظلت تقاومه كثيرًا وطويلاً ..

حبها ..

ذلك الحب ، الذى ظلّ عقلها الباطن يحتفظ به طويلاً ، خلال سنوات صراعهما ..

(*) راجع قصة (أبواب الجحيم) .. المغامرة رقم (١٩) .

(**) راجع قصة (الرجل الآخر) .. المغامرة رقم (٨١) .

ثم اعترف به بغتة ، عندما وجدته أمامها بلا ذاكرة ..

بلا ماض ..

بلا تاريخ ..

يومها تركت لمشاعرها وعواطفها العنان ..

واقنعته بأنها لم تكن أبدًا عدوّته ..

أقنعته أنها كانت دائمًا زميلته ..

وحبيبته ..

وتزوّجا ..

وجاء طفلهما الوحيد ..

ابنها ..

وابن (أدهم صبرى) ..

ويا لسخريةَ القدر !

ولكنه ، وعلى الرغم من كل ما فعلته ، استعاد ذاكرته ..

وعاد إلى حبيبته الحقيقية ..

ولعل هذا سر مقتها الشديد له الآن ، و ...

ولكن مهلاً ..

هل تمقته بكل كيانها فعلاً ، كما تحاول إقناع نفسها ؟!

هل طغت الكراهية على كل مشاعرها ، حتى أزاحت كل ذرة من حبه جانبًا ؟!

ربما ..

وربما لا ..

لو أن هذا صحيح ، فلماذا ألقته من الطائرة حيًا ؟!

لماذا لم تنفذ القاعدة الأساسية ، التى أقنعت بها الجميع ؟!

لماذا لم تقتله فور رؤيته ؟!

أهى رغبة دفينة فى أن تمنحه فرصة للنجاة ؟!

أدنى فرصة ؟!

أم ..

« إلى أين ننطلق يا سيدتى ؟! »

انتزعها مساعد الطيار من أفكارها وذكرياتها ، فرفعت عينيها إليه بحركة حادة ، قائلة :

- ماذا هناك ؟!

تراجع الرجل فى خوف حقيقى ، وهو يكرر :

- إننى أتساءل عن وجهتنا يا سيدتى .. لقد بلغنا منتصف القارة بالفعل ، دون أن ندرى إلى أين نحن ذاهبون .

وازدرد لعابه فى صعوبة ، قبل أن يضيف :

- الطائرة لا يمكنها أن تحلق للأبد .

اعتدلت فى مجلسها ، وألقت نظرة صامتة على حارستيها (تيجرا) و(ليونا) ، ثم أشعلت واحدة من سجائرها الطويلة ، قبل أن تجيب فى صرامة :

- سنهبط فى (لوس أنجلوس) .

بدا الارتياح على وجه مساعد الطيار ، ولكنها استدركت فى سرعة :

- للتزود بالوقود فحسب .

استعادت ملامح الرجل كل علامات الانزعاج ، وهو يسأل :

- ثم ؟!

مطت شفتيها ، ونفثت دخان سيجارتها فى قوة ، قبل أن تقول فى حزم :

- ما دامت الأمور كلها قد اشتعلت بالفعل ، فالأفضل أن نتجه إلى المحطة الأخيرة .

ثم رفعت عينيها إليه ، وأضافت فى صرامة :

- إلى (موسكو) .

وارتفع حاجبا الرجل فى دهشة ، إلا أنه لم يلبث أن خفضهما ، مغمغمًا :

- كما تأمرين يا سيدتى .. كما تأمرين ..

وانطلق على الفور ؛ لنقل أوامرها إلى الطيَّار ، ليتخذ وجهته الجديدة .

وكان هذا يعنى أن الصراع سينتقل فى الجولة الأخيرة إلى الجليد الروسى ..

الجليد الدامى ..

★ ★ ★

« إنه جهاز تنصُّت بالغ الدقة .. »

نطق (ماسومى) العبارة فى توتر ، وهو يفحص جسمًا فى حجم زر صغير ، التقطه من كتف سترة (أوكونور) ، قبل أن يرفع عينيه إلى هذا الأخير ، مستطردًا :

ـ لقد ألصقه ذلك الشيطان بكتفك بوسيلة ما ، فى أثناء صعودكما إلى الطائرة .

اتسعت عينا (أوكونور) ، وهو يقول :

ـ مستحيل ! رجال السيِّدة فحصونا ، بأجهزة كشف إليكترونية ، قبل صعودنا إلى الطائرة مباشرة ، و ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، قبل أن يهتف ، وهو يستعيد مشهدًا سابقًا :

ـ اللعنة :

سأله (ماسومى) :

ـ ماذا هناك ؟!

أجابه (أوكونور) فى حدة :

ـ ذلك المصرى كان يحمل جهاز التنصُّت ، عندما قام رجال السيِّدة بفحصى ، وعندما انتقلوا إليه ، تظاهر بالاستناد إلى كتفى ، وغرس فيه جهازه هذا ، ثم تركهم يفحصونه بمنتهى الهدوء ، وهو مطمئن إلى أنهم قد انتهوا من فحصى بالفعل ، ولن يجدوا شيئًا بحوزته .

بدا (ماسومى) مبهورًا ، وهو يقول :

ـ يا للشيطان !

ثم عاد يتطلَّع إلى جهاز التنصُّت ، مستطردًا فى اهتمام :

ـ لقد حملت معك الجهاز إلى الطائرة ، وظللت محتفظًا به ، حتى هذه اللحظة ، وهذا يعنى أنه قد نقل كل ما تفوَّهت به أو سمعته ، طوال كل هذا الوقت ، إلى جهاز تسجيل ، فى مكان ما .

بدا الارتياع على وجه (أوكونور) ، وهو يقول :

ـ أتعنى أن ذلك المصرى قد استمع إلى كل ما قلناه فى اجتماعنا ؟!

أشار (ماسومى) بسبابته ، قائلاً :
ـ أقول : إن كل ما قلناه أو سمعناه ، قد تم تسجيله على نحو ما .
قال (أوكونور) فى عصبية :
ـ وما الفارق أيها المتحذلق ؟!
أجابه (ماسومى) فى حزم :
ـ فارق كبير جدًا أيها النيويوركى .
ثم اتجه إلى مكتب (أوكونور) ، وضغط زرًا فوقه ، وهو يميل على جهاز اتصال محدود ، قائلاً بلهجة آمرة :
ـ (يوتا) .. اصعد إلى هنا على الفور ، وأحضر حقيبة الفحص الإليكترونى .
أجابه حارسه الخاص فى حزم :
ـ أمرك يا (ماسومى) سان .
سأله (أوكونور) فى توتر ، عندما أنهى الاتصال :
ـ ما الذى تسعى إليه بالضبط ؟!
أمسك (ماسومى) جهاز التنصت بسبابته وإبهامه ، وهو يقول :
ـ كل أجهزة التنصت الدقيقة هذه لها مدى محدود ،

يمكنها خلاله التقاط وتسجيل الأصوات فى وضوح ، ولقد كنا داخل طائرة ، تحلق فوق المحيط الأطلنطى ، فى اتجاه الشرق ، وهذا يعنى أنها تبتعد عن الساحل الأمريكى باستمرار ، وأريد معرفة مدى فاعليتها ، لتحديد ما يمكن أن تكون قد نقلته إلى جهاز التسجيل ، قبل أن تخرج الطائرة من مداها .
سأله (أوكونور) فى لهفة :
ـ هل تعتقد أنه من الممكن أن ....
قاطعه (ماسومى) ، قبل أن يكمل تساؤله :
ـ هذا يعتمد على مدى جهاز التنصت يا رجل .
مع آخر حروف كلماته ، انطلق رنين خافت فى المكان ، معلنًا وصول المصعد الخاص ، فالتفت الاثنان إليه ، فى نفس اللحظة التى انفتح فيها بابه ، وبرز منه (بيركينز) بصحبة (يوتا) ، الذى يحمل حقيبة صغيرة ، أسرع بها إلى رئيسه ، قائلاً :
ـ حقيبة الفحص الإليكترونى يا (ماسومى) سان .
التقط (ماسومى) الحقيبة ، وأزاح بعض الأشياء ، على سطح مكتب (أوكونور) ؛ ليفسح مكانًا لها ، ثم فتحها ، وهو يقول :

- هذه الحقيبة تحوى أحدث الأجهزة ، التى ابتكرتها العقول البشرية ، لفحص وكشف أجهزة التنصُّت ..

غمغم (أوكونور) :

- تقصد التى ابتكرتها العقول الأمريكية .

صمت (ماسومى) لحظة ، قبل أن يقول فى خبث ، وهو يضع جهاز التنصُّت فى تجويف خاص ، على سطح الجهاز الرئيسى بالحقيبة :

- يمكنك أن تقول إنها أحدث الأجهزة ، التى أنتجتها المصانع اليابانية .

ثم أشار بيده ، وهو يضغط أحد الأزرار ، مستطردًا :

- ولكن هذه ليست قضيتنا الآن .

تألق مصباح أخضر صغير ، فى ركن الجهاز ، ثم انطلق المؤشر فى جانبه يرسم منحنيات سريعة طويلة ، فارتفع حاجبا (ماسومى) ، وهو يتمتم :

- عجبًا ! إنه جهاز متقدم للغاية ، وله مدى واسع إلى حد كبير .

هتف (أوكونور) :

- هل تعتقد هذا حقًا ؟!

أشار (ماسومى) إلى جهاز الفحص ، وهو يقول :

- لا شأن للأمر بالاعتقادات الشخصية .. إنه فحص إليكترونى بحت .

لم يرق هذا الأسلوب لـ(أوكونور) ، فقال فى حدة :

- المهم أن يجيب السؤال : هل أمكنه تسجيل اجتماعنا بكل تفاصيله ؟!

صمت (ماسومى) بضع لحظات ، وهو يتابع مؤشرات جهازه ، قبل أن يجيب فى حزم :

- كلاً .

كاد (أوكونور) يتنفَّس الصعداء ، لولا أن استدرك اليابانى فى سرعة :

- ولكنه حصل على الدقائق العشر الأولى بالتأكيد .

عادت عينا (أوكونور) تتسعان فى شدة ، وهو يهتف :

- يا إلهى !

أشار إليه (ماسومى) ، قائلاً :

- لا تجعل الأمر يفزعك إلى هذا الحد .. السيِّدة لم تقل الكثير ، فى تلك الدقائق العشر .. كل ما حدث خلالها هو كشف أمر المصرى ، وإلقاؤه من الطائرة ، ثم مناقشة عملية إقناع العالم بامتلاكنا ذخيرة نووية ..

بل إننى لا أعتقد أن شيئاً من تفاصيل الخطة قد تم تسجيله بوضوح .

قال (أوكونور) فى صرامة غاضبة :

ـ وماذا عن كل ما تحدثنا فيه ، بعد عودتنا إلى الأرض .

انعقد حاجبا (ماسومي) ، وهو يقول :

ـ لقد تم تسجيله كاملا بالتأكيد .

ثم شرد بصره لحظة ، قبل أن يستطرد فى حزم ، وعيناه تبرقان على نحو عجيب :

ـ وهذا يتوقف على موقع جهاز التسجيل .

سأله (أوكونور) فى لهفة :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ أعنى أن ذلك الشيطان لم يستخدم جهاز التنصت ، إلا بعد أن أخفى جهاز التسجيل فى مكان قريب ، بحيث يمكنه الحصول على معظم ما يدور بيننا ، وبمنتهى الوضوح .

ثم أدار سبابته فى الهواء ، مستطرداً فى انفعال :

ـ السؤال إذن هو : ما أفضل مكان يمكن أن يخفى فيه جهاز التسجيل ، وهو ينتحل شخصية مساعدك .

عقد (بيركينز) حاجبيه فى عصبية ، وهو يغمغم :

ـ لقد باغتنى ، و ...

قاطعه (أوكونور) ، وهو يهتف :

ـ يا للشيطان ! إنها السيارة التى حملتنا إلى المطار .

هتف به (ماسومى) فى حماس :

ـ بالضبط .

وثب (أوكونور) إلى مكتبه ، وفتح درجه ، الذى يحوى عشرات الأزرار ، وضغط زراً منها ، وهو يقول :

ـ أغلقوا كل الأبواب .. لا تسمحوا لأحد بالدخول أو الخروج .. وبخاصة فى منطقة (جراج) السيارات .

ثم أدار عينيه إلى (بيركينز) ، مستطرداً فى حدة :

ـ فيم انتظارك أيها الغبى ؟! هيا انطلق مع رجالك إلى السيارة .. أريد منكم أن تفحصوا كل شبر فيها ، وأن تحيطوها بأكبر حراسة ممكنة ؛ فذلك الشيطان المصرى سيسعى حتماً لاستعادة جهاز التسجيل .. أسرع بحق الشيطان .

(بيركينز) لحظة ، وكأنه لم يستوعب
الموقف تمامًا ، حتى صاح (ماسومى) فى حارسه
الخاص :

ـ عاونه يا (يوتا) .

وهنا انتفض (بيركينز) فى عنف ، واستلّ
مسدسه ، هاتفًا :

ـ هيا بنا .

كانت كل ذرة فى جسديهما تتفجّر بالنشاط
والحماس ، وهما يهبطان فى مصعد (أوكونور)
الخاص إلى قبو المبنى ، حيث توجد السيارات
الخاصة بالمليادير الأمريكى ..

وعندما بلغا القبو ، جذب (بيركينز) مشط
مسدسه فى حزم ، وهو يقول لليابانى :

ـ لا تتردد لحظة واحدة .. لو لمحت ذلك المصرى ،
أطلق النار عليه على الفور .

أجابه اليابانى فى صرامة ، وهو يمسك مسدسه
فى تحفز :

ـ لا يوجد قط ما يوحى بوجوده هنا .. لقد هبطنا
لفحص السيارة وحمايتها فحسب .

قال (بيركينز) فى عصبية :

ـ أقول لو .. إنه مجرد ..

بتر عبارته بغتة ، عندما انفتح باب المصعد ،
ووقع بصره على الحارس ، الذى سقط على وجهه
أرضًا ، ومسدسه ملقى على قيد متر منه ..

كان هذا المشهد كافيًا ، لتتفجّر موجة عارمة من
التوتر فى جسدى الرجلين ، حتى إن (بيركينز)
هتف فى حدة :

ـ ألم أقل لك ؟!

أمسك كل منهما مسدسه فى تحفّز كامل ، وقال
اليابانى فى عصبية :

ـ أخشى أن نكون قد وصلنا متأخرين .

أدار (بيركينز) عينيه فى المكان ، فى توتر بالغ ،
وهو يلتقط جهاز اللاسلكى من جيبه ، متمتمًا :

ـ سيدهشنى هذا كثيرًا ، فالمكان ، ككل بقعة فى
المبنى ، مراقب بأجهزة تصوير واستماع دقيقة .

ثم ضغط زر جهاز اللاسلكى ، قائلاً فى عصبية :

ـ مستر (أوكونور) .. يبدو أن ذلك الشيطان هنا .

أتاه صوت (أوكونور) ، وهو يهتف :

- هنا ؟!

كاد يتخيّل مشهد رئيسه ، وهو يقفز إلى شاشات الرصد ، وكل ذرة فى كيانه تتفجّر توترًا وغضبًا ، فقال فى سرعة :

- الأبواب كلها مغلقة ، والرجال فى طريقهم إلى هنا .

هتف به (أوكونور) ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى :

- ولكن أين هو ؟! شاشات الرصد فى القبو تعمل كلها بكفاءة ، ولا يوجد أدنى أثر له ، و ...

بتر عبارته ، ليهتف فجأة :

- اللعنة ! هناك شخص ما خلف (المرسيدس) البيضاء فى الركن .

لم يكد (يوتا) يلتقط العبارة ، حتى وثب فى خفة نحو (المرسيدس) البيضاء ، ودار حولها فى رشاقة متحفزة ، وهو يصوّب مسدسه ، هاتفًا :

- وقعت أيها الـ ..

ثم بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى رجل بثيابه الداخلية ، فاقد الوعى خلف السيارة ، ليقول فى عصبية :

- ما هذا بالضبط ؟!

لم يكد ينطق عبارته ، حتى وثب حارس القبو واقفًا على قدميه ، وهو يقول فى سخرية :

- خدمة جيدة .. أليس كذلك ؟!

شهق (بيركينز) فى رعب ، وهو يحدّق فى (أدهم) ، الذى يرتدى زى حارس الأمن ، وتراجع صارخًا :

- إنه هنا يا مستر (أوكونور) .. هنا .

نطقها ، قبل أن يتلقى فكه لكمة كالقنبلة ، من قبضة (أدهم) ، ألقت به ثلاثة أمتار إلى الخلف ، ليرتطم بالجدار فى عنف ، ثم يرتدّ عنه فى قوة ، فتستقبله قبضة (أدهم) الأخرى بلكمتين متتاليتين قويتين ، جحظت معهما عيناه ، وهو يسقط فاقد الوعى ..

وفى سرعة متوترة ، استدار (يوتا) نحو (أدهم) ..

وأطلق النار ..

كان واثقًا من أنه قد صوّب مسدسه بمنتهى الدقة ، إلا أن رصاصته ، عندما انطلقت من فوهة مسدسه ، لم تجد الهدف فى طريقها أبدًا ..

هذا لأن (أدهم) قد انحرف جانبًا ، ومال ، وانحنى ، ثم وثب فى خفة مذهلة ، خلال أقل من ثانية واحدة ..

وبقفزة مدهشة ، تجاوز ثلاثة أمتار دفعة واحدة ، ليعتلى مقدِّمة المرسيدس البيضاء ، ثم يركل (يوتا) فى فكه مباشرة ، قائلا فى سخرية :

ـ ليس بالرصاص وحده ينتصر المرء يا هذا .

دفعت الركلة (يوتا) إلى الخلف فى عنف ، فارتطم بالجدار ، ولكنه تمالك نفسه فى سرعة خرافية ، فترك جسده ينزلق أرضًا ، وهو يصوِّب مسدسه مرة أخرى نحو (أدهم) ، صارخًا باليابانية :

ـ خذها ، من أجل (ماسومى) سان .

قفز (أدهم) قفزة مدهشة خلفية ، دار معها جسده إلى الخلف ، دورة كاملة فى الهواء ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها رصاصة اليابانى ، التى عجزت عن تمييز جسده ، مع تلك الحركة المعقَّدة السريعة ، فأخطأته ، وواصلت طريقها ، لترتطم بالمصعد الأخضر ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها صفارته ، معلنة وصوله إلى القبو ، حاملاً خمسة من أقوى رجال (أوكونور) المسلحين ..

وفى شماتة ، هتف (يوتا) ، وهو يشير إلى المصعد .

ـ خسرت أيُّها المصرى .

وثب (أدهم) إلى مقدِّمة سيارة أخرى ، وهو يهتف :

ـ ليس بعد .

أدار (يوتا) فوهة مسدسه ، فى محاولة لاصطياد جسد (أدهم) فى الهواء ، إلا أن هذا الأخير قفز قفزة مدهشة أخرى ، بين سيارتين من سيارات (أوكونور) ، ثم اندفع نحو منظِّم التيار الكهربى ، فى نفس اللحظة التى انفتح فيها باب المصعد ، وأطلق (يوتا) رصاصته ، صارخًا :

ـ اقتلوه .

اخترقت الرصاصة جسم إحدى سيارات (أوكونور) ، واستلَّ الرجال الخمسة مسدساتهم فى سرعة ، وقفز (أدهم) نحو منظِّم التيار ، وجذب ذراع التوصيل إلى أسفل فى قوة ..

ودوت الرصاصات داخل القبو ، فى نفس اللحظة التى انقطع فيها التيار الكهربى تمامًا عنه .

وفى حجرته الخاصة ، هتف (أوكونور) فى حنق :
ـ اللعنة ! اللعنة ! ذلك الشيطان يعبث بنا .
بدا (ماسومى) أكثر هدوءًا واهتمامًا منه ، وهو يقول :
ـ إنه يعرف ما يفعله جيدًا ، ويتحرك على نحو منظم للغاية ، فى حين يتصرف رجالنا بمنتهى العنف والوحشية والهمجية ..
ثم صمت لحظة ، مستطردًا :
ـ وهذا سر تفوقه .
التفت إليه (أوكونور) ، قائلاً فى حدة :
ـ أرجوك يا (ماسومى) .. اعفنى من محاضراتك الفلسفية هذه .
أشار (ماسومى) بسبابته ، قائلاً فى رصانة :
ـ ليست مجرد محاضرات فلسفية يا (سام) .. إنه تحليل دقيق للموقف .
وتطلع إلى الشاشات المظلمة لبضع لحظات أخرى ، قبل أن يضيف فى حزم :
ـ ومحاولة لتقييم الموقف ، واستنباط الخطوات التالية .

صاح به (أوكونور) ، وهو يواصل التحديق فى الشاشات الخالية :
ـ اصمت يا (ماسومى) .. اصمت ..
لاذ (ماسومى) بالصمت ، وهو يتابع الشاشات المظلمة بدوره ، ودوى الرصاصات الذى يظهر ، بين حين وآخر ، حتى هتف (يوتا) ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى :
ـ إنه هنا يا (ماسومى) سان .. هنا .. ولكننا لا نستطيع العثور عليه فى الظلام الدامس ..
هتف به (أوكونور) :
ـ استخدموا قداحاتكم أيها الأغبياء .. ابحثوا عن نزاع الطاقة ، وأعيدوها إلى موضعها .. لا تسمحوا له باستغلال الظلام .
قال (يوتا) فى عصبية :
ـ ولكنه لا يفعل شيئًا يا (أوكونور) سان ، ولهذا لا يمكننا تحديد موقعه .
انعقد حاجبا (ماسومى) فى شدة ، فى حين هتف (أوكونور) فى حدة :
ـ إنها محاولة خداع وتضليل أيها الأغبياء .. أعيدوا الأضواء ، وقاتلوه فى وضوح ، قبل أن ...

بتر عبارته بغتة ، عندما صدر عن جهاز المراقبة رنين مميَّز ، يوحى بأن المصعد الخاص فى طريق الصعود ، فاتسعت عينا (أوكونور) فى ارتياع ، وهو يقول :

ـ يا للشيطان ؟! تُرى هل ..

لم يتمّ عبارته ، وهو يضغط زرًا آخر في سرعة ، فاختفت إحدى الشاشات المظلمة ، وحلّت محلها صورة للمصعد الخاص من الداخل ، وهو يصعد إلى الطابق الأربعين ، وبداخله (بيركينز) ، يمسك فكه فى ألم ، ويحافظ على اتزانه فى صعوبة ..

وبكل غضب الدنيا ، هتف به (أوكونور) :

ـ لماذا تصعد إلى هنا أيها الغبى ؟!

أشار (بيركينز) بيده ، قائلاً فى ذعر واضح :

ـ أرجوك يا مستر (أوكونور) .. أرجوك .

صاح به (أوكونور) فى حنق :

ـ ترجونى ؟! أىّ قول غبى هذا يا (بيركينز) ؟! هل أصبحت جبانًا رعديدًا ، حتى إنك لم تعد تحتمل مواجهة ذلك المصرى ؟!

لم يجب (بيركينز) ، وإنما أسند ظهره إلى الجدار ،

ولوّح بذراعه فى ضعف ، والمصعد يقترب من الطابق الأربعين ..

ويقترب ..

ويقترب ..

وعندما بلغ الطابق ، وانفتح بابه ، اندفع نحوه (أوكونور) فى حنق ، وهو يهتف بمساعده (بيركينز) :

ـ أيها الغبى .. لماذا لم ..

قاطعه (بيركينز) فى صرامة مباغتة ، وهو يستعيد توازنه ، ويشير إليه فى حزم ، وكلماته تحوى سخرية لاذعة :

ـ اطمئن أيها الوغد .. رجلك لم يغادر القبو بعد ؛ لأنه ، وبكل بساطة ، ما زال فاقد الوعى هناك .

تراجع (أوكونور) فى رعب هائل ، عندما ميَّز صوت (أدهم) ، وهتف :

ـ يا للشيطان ! لا .. مستحيل !

انتزع (أدهم) قناع (بيركينز) من وجهه ، وألقاه جانبًا ، وهو يتقدّم نحو (أوكونور) ، قائلاً :

ـ هل أدهشك هذا أيها الوغد ؟!

نطق عبارته ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها



كانت الضربة من القوة ، بحيث دار رأس (أدهم) فى عنف ..

صوت (يوتا) ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى ، وهو يهتف ، فى مزيج من الدهشة ، والاستنكار :

ـ لقد أعدنا التيار الكهربى يا (أوكونور) سان ، ولكن ذلك المصرى ليس هنا ، و (بيركينز) ملقى أرضًا ، وقد نزع عنه أحدهم ملابسه .

عضَّ (أوكونور) شفتيه فى غيظ ، فى حين ابتسم (أدهم) فى سخرية ، قائلا :

ـ عجبًا ! يبدو أن أوغادك قد أصابتهم عدوى الذكاء .

لوَّح (أوكونور) بيده ، وهو يقول فى عصبية :

ـ مستر (أدهم) .. كل شىء قابل للتفاوض .. سأخبرك بكل ما تريد معرفته ، ولكن لا تقتلنى .. لا ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يتطلع إلى نقطة ما ، خلف ظهر (أدهم) ، فى اهتمام بالغ ، فدار (أدهم) على عقبيه فى سرعة ، و ...

وفجأة ، هوت ضربة قاسية عنيفة ، على صدغه الأيسر ، مع صوت (ماسومى) ، يقول فى صرامة :

ـ يبدو أنك قد أهملت وجودى أيها المصرى .

كانت الضربة من القوة ، بحيث دار رأس (أدهم) فى عنف ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد استدار بجسده كله ، وهو ينتزع مسدسه من حزامه ..

وبعنف أكثر ، هوت ضربة أكثر شدة على وجهه ..

ضربة دفعته إلى الخلف فى قوة ، وعيناه تميزان صورة مهتزة لليابانى ، وهو يمسك بيده تمثالاً ثقيلاً من البرونز ..

ومن جبهته ، سالت دماء ساخنة على وجهه وعينيه ..

وعلى الرغم من كل هذا ، انقضَّ (أدهم) على (ماسومى) ، وكال له لكمة كالقنبلة ، هاتفًا :

ـ أيها الوغد .

أصابت اللكمة (ماسومى) فى صدره ، وألقته مترين إلى الخلف ، ليسقط أرضًا فى عنف ، وهو يطلق شهقة قوية ..

ولكن (أوكونور) اختطف منفضة نحاسية ثقيلة ، من فوق مكتبه ، واندفع بها نحو (أدهم) ، صارخًا :

ـ اذهب إلى الجحيم .

التفت إليه (أدهم) ، والدوار مع الدماء يحجبان عنه الرؤية تمامًا ، و ...

وبكل قوته ، هوى (أوكونور) على فك (أدهم) بالمنفضة الثقيلة ، وهو يطلق صرخة عالية عصبية ..

وكانت الضربة عنيفة للغاية هذه المرة ..

حتى بالنسبة لرجل مثل (أدهم صبرى) ..

لذا فقد دار رأسه فى قوة ، ولم تعد ساقاه قادرتين على حمله ..

والعجيب أن كل ما شعر به ، فى تلك اللحظة ، هو السخط والغضب ..

لقد آلمه أن يخسر معركته ، بعد أن بلغ هذه النقطة ..

وربما كان هذا هو الدافع الوحيد ، الذى جعله يظل واقفًا على قدميه ، على الرغم من إصاباته العنيفة ، وهو ينقضُّ على (أوكونور) ، هاتفًا :

ـ لو أنها آخر لحظة فى حياتى ، فسوف ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، نهض (ماسومى) من سقطته ، والتقط من جيبه صاعقًا كهربيًا ، وهو يندفع نحوه ، هاتفًا :

ـ مرة أخرى أهملت وجودى أيها المصرى .

قالها ، ودفع طرفى الصاعق الكهربى فى جسد (أدهم) ..

ثم ضغط الزر ..

وكان هذا أكثر مما يمكن أن يحتمله أى جسد بشرى ..

مهما بلغت قوته ..

مائة وخمسون ألف فولت ، سرت فى كيانه دفعة واحدة ..

وانتفض جسد (أدهم) فى عنف هذه المرة ..

وتضاعف شعوره بالسخط والغضب ألف مرة ، خلال جزء يسير من الثانية ..

وبعدها انتهى كل شىء ..

وهوى رجل المستحيل أرضًا فى عنف .

بين أقدام أعدائه ..

ولثوان ، ومع رهبة الموقف ، ران على المكان صمت تام عجيب ..

ثم فجأة ، أطلق (ماسومى) صيحة انتصار قوية ، وصرخ :

ـ فعلناها يا (سام) .. فعلناها دون معاونة رجالنا .. أنا وأنت حققنا ما عجز عنه الجميع ، وهزمنا رجل المستحيل .

حدّق (أوكونور) فى جسد (أدهم) ، الفاقد الوعى عند قدميه ، وكأنما لا يصدّق ما يراه ، ثم لم يلبث أن قفز نحو مكتبه ، واختطف من أحد أدراجه مسدسًا ضخمًا ! صوبه نحو (أدهم) فى شراسة ، هاتفًا :

ـ نعم يا (ماسومى) .. نحن فعلناها .

وجذب إبرة مسدسه فى قوة ، وعقله يحمل عبارة واحدة ، بدت له أجمل عبارة فى الكون ، يمكن أن يقترن بها اسمه ..

اسم (سام أوكونور) ..

الرجل الذى قتل (رجل المستحيل) ..

★ ★ ★



٩ـ بعيداً عن الأرض ..

« (سونيا جراهام) على قيد الحياة ... وهى ليست السنيورا .. »

قرأ مدير المخابرات العامة المصرية تلك العبارة ، من البرقية الشفرية العاجلة ، التى أرسلها (أدهم) ، ثم رفع عينيه إلى الرجال ، الذين يلتفون حول مائدة الاجتماعات ، قائلاً :

ـ هذا أخطر ما ورد فى برقية (ن ـ ١) أيها السادة ، إذ إن تلك العبارة المقتضبة تحمل لنا خبرين بالغى الأهمية .. أولهما أن امرأة (الموساد) وأفعاه السابقة (سونيا جراهام) لم تلق مصرعها فى جزيرة (هيل) ، كما يتصور الجميع ، وأنها مازالت على قيد الحياة ، تبث سمومها فى كل مكان ، والثانى أنها ليست السنيورا ، التى يسعى الجميع خلفها الآن .. ومن الواضح أن (ن ـ ١) قد أرسل برقيته هذه ، دون أن يدرى أن السنيورا قد أطلقت مشروعها

النووى بالفعل ، وبدأته بقنبلة ذرية ، تفجرت فى صحراء (نيفادا) الأمريكية .

تنحنح أحد رجال المخابرات ، قائلاً :

ـ معذرة يا سيدى ، ولكن آخر التقارير الواردة من الأمريكيين ، تشير إلى أن الخبراء هناك لم يتيقنوا بعد من وجود صفة نووية لذلك الانفجار ، فى صحراء (نيفادا) ، إذ إن المراقبين لم يلمحوا ذلك الشكل المميز ، الشبيه بفطر (عش الغراب) ، والذى يميز الانفجارات النووية عادة ، وإن رصدت أجهزتهم نشاطاً إشعاعياً ملحوظاً فى المنطقة .

أشار المدير بسبابته ، قائلاً :

ـ هذا ما أشار إليه الدكتور (محمد عفيفى) ، أستاذ الهندسة النووية بجامعة (الإسكندرية) أيضاً ، مع بعض التحفظات الأخرى ، بشأن عمق الحفرة الناشئة ، ودائرة الانفجار ، التى تم رصدها .. وكل هذا يمنح الجميع شعوراً بأننا ضحية خدعة متقنة .

قال رجل آخر :

ـ ولكنها خدعة يمكن كشفها يا سيدى ، ولست أعتقد أن السنيورا يمكن أن تغامر بالقيام بها .

اندفع ثالث يقول :

- بل هذا يبدو لى منطقيًا للغاية ، فتلك الأفعى أدركت ولا ريب ، أن بعض أجهزة المخابرات قد اقتربت منها ، ومن مصادر تمويلها ، وهذا يعنى أنها تواجه خطر كشف موقعها أو مخبئها ، قبل أن تتمّ مشروعها ، أو تبلغ منه مرحلة اللاعودة ، لذا فمن المحتمل جدًا أن تلجأ إلى خدعة ، كهذه ، فى محاولة لكسب بعض الوقت ، حتى تصبح قادرة على تفجير قنبلة ذرية حقيقية .

بدا لهم تحليله منطقيًا للغاية ، فتبادلوا نظرة صامتة ، ثم راحوا يناقشونه فى اهتمام بالغ ، قبل أن يقول المدير :

- إذن فهذا الاحتمال يلقى منكم قبولاً .. عظيم .. إنه يروق لى أيضًا ، ولكن كل ما أخشاه هو أن نلجأ إليه ؛ لأنه يقلل من حجم الخطر ، ويمنحنا الأمل فى أن الأمور لم تفلت من قبضتنا بعد .

ثم اعتدل فى مجلسه ، مستطردًا فى حزم :

- لذا فنحن مضطرون لاعتبار ذلك الانفجار فى (نيفادا) حقيقيًا ، إلى أن يثبت العكس ، وسنتصرّف بهذا الافتراض ، حتى إشعار آخر ، فهو أكثر أمنًا .

غمغم أحد الرجال :

- هذا صحيح يا سيدى ، فنحن لن نخسر شيئًا ، إذا ما اعتبرنا الانفجار حقيقيًا ثم ثبت العكس ، فى حين قد نخسر كل شىء ، لو اعتبرناه زائفًا ، ثم اتضح فيما بعد أنه انفجار نووى حقيقى .

قال المدير فى حزم :

- بالضبط .. وبناءً على هذا سنرسل برقية شفرية عاجلة لـ (ن - ١) ، نبلغه فيها بما حدث ، ونحدد له الأهداف الجديدة للمهمة .

ردّد أحدهم فى حذر :

- أهداف جديدة ؟!

أجابه المدير فى سرعة :

- بالطبع يا رجل ؛ فالمهمة قد بدأت كمحاولة لتحطيم مصادر التمويل الرئيسية لتلك السنيورا ، أما الآن ، وبافتراض أنها قد بدأت مشروعها النووى بالفعل ، فلا بد أن يصبح الهدف الرئيسى هو البحث عنها ، و ...

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف فى صرامة :

- وتحطيمها تمامًا .

ران صمت مهيب على قاعة الاجتماعات الرئيسية لبضع لحظات ، قبل أن يسأل أحد الرجال فى اهتمام بالغ :

- إلى أين ترسل البرقية الشفرية يا سيادة المدير ؟!

أجابه المدير فى صرامة :
- إلى (ن - ١) فى (نيويورك) بالطبع .
أومأ الرجل برأسه متفهمًا ، وهو يقول :
- بالتأكيد يا سيدى ، ولكن كل ما نعرفه هو أن سيادة العميد (أدهم) فى (نيويورك) ، ولكننا نجهل تمامًا موقعه بالتحديد .
انعقد حاجبا المدير فى شدة ، فانبرى رجل آخر ، قائلاً :
- هذا صحيح يا سيادة المدير ، فسيادة العميد (أدهم) لم يرد على استفساراتنا الأخيرة ، على الرغم من أنها تحمل عبارة (عاجل للغاية) ، وهذا يضع أمامنا علامة استفهام كبيرة ، وسؤالاً ضخمًا .
ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا :
- أين سيادة العميد (أدهم) الآن ؟! أين ؟!
عاد الصمت المهيب يغلف المكان ، وذلك السؤال يرفرف على رءوس الجميع ..
أين (أدهم صبرى) الآن ؟!
أين ؟!

★ ★ ★

عقد طبيب وحدة الطوارئ الطبية السرية فى (نيويورك) حاجبيه فى استنكار ، وهو يدلف إلى حجرة (منى) ، قائلاً :
- خطأ يا آنستى .. خطأ .. اتركى العمل على هذا الكمبيوتر الصغير .. المفترض أن تحصلى على بعض الراحة هنا ، لا أن تواصلى العمل ، بعد ساعات قليلة من جراحة كهذه .
أشارت إليه (منى) ، قائلة :
- هناك أمر مهم ، ينبغى أن أتوصل إليه ، وأعدك أن أحصل على كل ما تريده من راحة واسترخاء بعد هذا .
جذب الطبيب الكمبيوتر (النقال) فى رفق ، وهو يقول فى حزم :
- لست أنا من يريد الراحة والاسترخاء .. جسدك هو الذى يحتاج إليهما فى شدة ، وبدونهما قد ينهار فى أية لحظة .
تشبثت بالكمبيوتر ، هاتفة :
- لا .. أرجوك .. ربما توقفت حياة شخص ما على هذا .

أجابها فى سرعة :

ـ بالتأكيد .. حياتك أنت .

جذبت الكمبيوتر إليها فى شدة ، وهى تقول فى عصبية :

ـ بل حياة أقرب الأصدقاء إلى نفسى .

تطلّع إليها الطبيب لحظة ، قبل أن يقول فى ضيق :

ـ لا يمكننى أن أوافق على هذا قط .

أجابته ، وهى تعمل على أزرار الكمبيوتر فى سرعة :

ـ ولكن يمكنك أن تساعدنى ، لكى أصل إلى ما أريد ، فى أقصر وقت ممكن .

سألها فى دهشة :

ـ وكيف هذا ؟! إننى مجرّد طبيب ، ولست رجل مخابرات محترفًا .

أجابته فى اهتمام :

ـ وما أبحث عنه يحتاج ـ أكثر ما يحتاج ـ إلى طبيب متمرّس ، وليس إلى رجل مخابرات .

بدا من الواضح أن جوابها قد جذب اهتمامه كثيرًا ، وهو يسألها :

ـ وما الذى تبحثين عنه ؟!

أشارت إلى الشاشة ، قائلة :

ـ زميل لنا ، تمّ اختطافه من حجرة عمليّات الطوارئ ، فى مستشفى (نيويورك) التذكارى ، داخل سيارة إسعاف مجهّزة ، ولم أجد له أى أثر ، فى كل المستشفيات المعروفة فى (نيويورك) كلها .

قال فى اهتمام :

ـ إنهم لن يستخدموا اسمه الحقيقى بالتأكيد .

أومأت برأسها إيجابًا ، وأضافت :

ـ ولا حتّى إصابته الحقيقية ، فلم أجدها مسجّلة فى أى مكان .

بدت على الطبيب علامات التفكير العميق ، وهو يقول فى خفوت ، وكأنما يحدّث نفسه فحسب :

ـ لو أن سيارة الإسعاف مجهّزة كما ينبغى ، فسيمكنهم إجراء عمليّة جراحيّة محدودة داخلها ، ويمكنهم بعدها إدخال المريض إلى أى مستشفى ، بأى اسم مستعار ، وبإصابة تختلف تمامًا عن إصابته الفعليّة ، و ....

توقّف عن الكلام فجأة ، وغرق فى تفكير عميق

للغاية ، لبضع ثوان أخرى ، قبل أن يسأل (منى) فى اهتمام :

- ألصديقك أو زميلك هذا علامة مميّزة ؟!

رددت فى تساؤل :

- علامة مميّزة ؟!

أجابها فى اهتمام :

- نعم .. علامة واضحة ، لابد أن تجذب انتباه ممرضة الاستقبال ، فى أى مستشفى ، فتقوم بتسجيلها فى بطاقة الدخول آليًا .. إصابة بارزة ، أو عضو مبتور ، أو ...

هتفت فجأة فى لهفة :

- بالتأكيد .. إنه مفرط البدانة .

لوّح بسبابته فى وجهها ، هاتفًا :

- رائع .. هذه علامة لا يمكن إهمالها ؛ نظرًا لما قد تعنيه ، بالنسبة لتشخيص حالته وعلاجها .. ابحثى إذن عن ذكر أبيض ، دخل المستشفى بإصابة تم إسعافها بالفعل ، فى أثناء عملية النقل ، ويتميّز ببدانة مفرطة .

تهللت أسارير (منى) ، وهى تقول فى سعادة :

- لست أدرى كيف يمكننى أن أشكرك .

استعاد صرامته ، وهو يجيب :

- بأن تعودى إلى الراحة والاسترخاء ، فور انتهاء هذا .

هتفت فى حماس ، وأصابعها تضرب ازرار الكمبيوتر فى سرعة :

- بالتأكيد .. بالتأكيد .

- وفى لهفة ، راحت تحصر كل من تنطبق عليهم هذه المواصفات ، قبل أن تهتف ..

- أخيرًا .

فأمامها ، على شاشة الكمبيوتر النقّال ، واستجابة لمطلبها ، كان هناك اسم واحد يحتلّ القائمة كلها ..

ودون أدنى شك ، كان هذا الاسم المستعار يتناسب مع شخص واحد .

(قدرى) ..

ولكن فجأة ، وقبل أن تتصاعد سعادتها ، وقع بصرها على العبارة القصيرة ، التى تألّقت أسفل الاسم تمامًا ..

العبارة التى تقول ، فى اقتضاب شديد :

« لم يحتمل جسده الإصابة .. تم نقله إلى ثلاجة المشرحة » .



فجأة ، اندفعت يد (ماسومى) تمسك معصم (أوكونور) فى قوة ..

وانهارت مشاعر (منى) كلها دفعة واحدة .. وبمنتهى العنف ..

★ ★ ★

فجأة ، اندفعت يد (ماسومى) تمسك معصم (أوكونور) فى قوة ، وهو يهتف مستنكراً :

ـ ماذا ستفعل أيها التعس ؟!

صاح به (أوكونور) فى عصبية :

ـ سأفعل ما ينبغى علينا فعله يا رجل .. سأطلق النار عليه ، وأنسف رأسه مباشرة .. هذا ما تقتضيه التعليمات .

هتف به (ماسومى) :

ـ تقتله هكذا ، بكل البساطة .

ثم خفض صوته ، وتألقت عيناه ، وهو يضيف :

ـ أين خيالك يا رجل ؟! أين روح الابتكار لديك ؟!

حدق (أوكونور) فى وجهه مستنكراً ، قبل أن يهتف فى حنق :

ـ أى خيال ، وأى روح ابتكار يا رجل .. إنه فى قبضتنا ، ولست مستعداً لمنحه فرصة جديدة للإفلات ..

تألقت عينا (ماسومى) مرة أخرى ، وهو يقول :

- اطمئن .. لن تكون لديه أية فرصة للنجاة .. أنا أضمن لك أنه سيلقى مصرعه .

ثم أشار إلى رأسه ، مضيفًا :

- ولكن بفن .

هتف (أوكونور) مستنكرًا :

- فن أو غير فن .. سأقتله الآن ، وليكن ما يكون .

أمسك (ماسومى) معصمه بقوة رهيبة ، وهو يقول فى صرامة شديدة :

- ليس هذا من حقك .

كرّر (أوكونور) فى حدة :

- ليس من حقى !!

أجابه (ماسومى) فى غضب :

- بالتأكيد .. لقد باغتك الرجل هنا ، ونجح فى خداعك مرة أخرى ، ولولا أننى انتبهت إلى خدعته ، واختفيت خلف مدخل المصعد ، ثم باغتته بضربة قوية ، لما وقع فى قبضتنا قط .

صاح به (أوكونور) :

- هل جننت يا رجل ؟!

أجابه (ماسومى) ، وهو يلوى معصمه فى غضب :

- بل أطالب بحقى أيها الأمريكى .

شعر (أوكونور) بأصابع (ماسومى) كالفولاذ حول معصمه ، فأفلت مسدسه ، وهو يقول فى عصبية :

- ستندم على هذا يومًا يا (ماسومى) .

ابتسم اليابانى فى ثقة ، قائلا :

- أنا لا أندم أبدًا يا عزيزى (سام) .

جذب (أوكونور) معصمه ، من بين أصابع اليابانى القوية ، ثم عاد يجلس خلف مكتبه ، وهو يقول فى عصبية :

- أبذهنك فكرة ما ؟!

أجابه اليابانى بابتسامة عريضة :

- بالتأكيد .

ثم أشار إلى رأسه ، مستطردًا :

- ومبتكرة للغاية .

مطّ (أوكونور) شفتيه مستنكرًا ، وهو يسأله :

- وما هى ؟!

اتسعت ابتسامة اليابانى أكثر ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويتجه نحو الجدار الزجاجى للحجرة ،

وتطلَّع بضع لحظات إلى (نيويورك) ، قبل أن يرفع عينيه إلى السماء ، قائلاً :

ـ بعد أقل من ساعة ، سيبدأ العد التنازلى الأخير ، لإطلاق قمرى الصناعى الأوَّل (ماسو ـ ١) .

سأله (أوكونور) فى حذر :

ـ وماذا فى هذا ؟!

أجابه اليابانى فى هدوء عجيب :

ـ المفترض أن نرسل الآن صندوقًا من المعدَّات إلى القمر الصناعى .

ثم التفت إليه ، مستطردًا بابتسامة ساخرة :

ـ وسيصل الصندوق فى موعده بالضبط ، ولكنه لن يحوى تلك المعدات بكل تأكيد .

سأله (أوكونور) فى حيرة :

ـ ماذا سيحمل إذن ؟!

اتسعت ابتسامة اليابانى حتى شملت وجهه كله ، وهو يقول :

ـ خمن .

انعقد حاجبا (أوكونور) لحظة ، ثم ارتفعا بغتة فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ يا للشيطان !!

ثم انتقلت ابتسامة اليابانى إليه ، وهو يستطرد فى جذل :

ـ إنها فكرة مبتكرة بالفعل يا رجل .. فكرة لا يمكن مقاومتها قط ..

وفى آن واحد ، ودون اتفاق مسبق ، انطلق الاثنان يقهقهان فى ظفر واستمتاع .. فوق القمة ..

★ ★ ★

شدَّ الجنرال (ميلوسكى) ، قائد منطقة (سيبيريا) ، قامته فى اعتداد ، أمام السنيورا ، وهو يقول بابتسامة كبيرة :

ـ هل طلبت مقابلتى يا سنيورا ؟!

نفثت دخان سيجارتها ، وهى تجيب فى هدوء :

ـ بالتأكيد يا جنرال ، فلدى بعض الأمور ، أحب أن أناقشها معك .

أومأ برأسه ، قائلاً :

ـ رهن إشارتك يا جميلة الجميلات .

نهضت من مقعدها ، واتجهت إلى نافذتها ، وألقت نظرة عبرها على ساحة المفاعل ، قبل أن تلتفت إليه ، قائلة :

- أنت مطمئن إلى إجراءات الأمن هنا يا جنرال ؟!

أجابها فى حزم :

- كل الاطمئنان يا سنيورا .. الجميع هنا من أقرب وأفضل رجالى ، وأكثرهم إخلاصًا ووفاءً، وكلهم مدرّبون على نحو ممتاز ، ويحتلون مواقعهم بمنتهى الدقة .

أضافت مبتسمة :

- ويعرفون أهدافهم أيضًا ..

انعقد حاجباه ، وهو يقول فى حذر :

- أهدافهم ؟

اتسعت ابتسامتها . وبدت له شديدة الغموض ، وهى تقول :

- ولكن ماذا عن قيادتك ؟! هل تضمن انتماءهم ؟!

أجابها فى توتر :

- لا شأن لقيادتى بالأمر يا سنيورا .. إننى أقوم بهذه المهمة لحسابى شخصيًا ، وأنا الوحيد الذى يعلم بوجودكم هنا .

سألته فى اهتمام :

- الوحيد ؟!

أجاب فى حزم :

- نعم يا سنيورا .. الوحيد .

لم ترق له ابتسامتها أبدًا ، وهى تلتفت إلى النافذة ، قائلة :

- عظيم .. عظيم .

خيِّل إليه أنها تراقب شيئًا ما ، فى ساحة المفاعل ، بمنتهى الاهتمام ، فاشرأبّ بعنقه ، وكأنما يرغب فى رؤية ما تراقبه ، إلا أنها التفتت إليه فى هدوء ، وعلى شفتيها ابتسامة ارتياح كبيرة ، مكررة :

- عظيم .. كل شىء يسير على ما يرام .

لم يستطع كتمان فضوله ، وهو يسألها :

- ماذا هناك يا سنيورا ؟!

هزت كتفيها ، قائلة :

- رجالك يا جنرال .

سألها فى قلق :

- ماذا عنهم ؟!

انفرجت شفتاها لتقول شيئًا ما ، ثم لم تلبث أن أطبقتهما ، وعادت تلقى نظرة عبر النافذة ، قائلة :

- الأفضل أن ترى بنفسك .

اندفع فى لهفة وفضول نحو النافذة ، ولم يكد يتطلع عبرها ، حتى تراجع كالمصعوق ، وهو يصرخ :

ـ يا للشيطان !

فأمام عينيه مباشرة ، فى ساحة المفاعل ، وفى منتصفها تقريبًا ، كان رجاله يرقدون ، وسط بركة من الدم ، وقد تم ذبحهم كالنعاج ، بوساطة رجال السنيورا ، الذين التفوا حولهم ، ورفعوا أذرعتهم ، علامة على الظفر والانتصار ..

وفى سرعة مذعورة ، استدار الجنرال (ميلوسكى) إلى السنيورا ، ويده تقفز إلى مسدسه ، وهو يصرخ :

ـ أيتها اللعنية !

استقبلته ابتسامتها الباردة الساخرة ، وفوهة مدفع (لورانزو) ، الذى صاح فيه بشراسة :

ـ ألق مسدسك يا رجل .. ألقه قبل أن أنسف رأسك كثمرة فارغة .

اتسعت عينا الجنرال فى ارتياع ، وألقى مسدسه أرضًا ، بين قدمى السنيورا ، وهو يقول بصوت مختنق متحشرج :

ـ ولكن لماذا ؟!

انقلبت سحنتها بغتة ، وتلاشت ابتسامتها ، وهى تقول فى شراسة :

ـ لأن السنيورا ليست غرة ساذجة ، حتى يمكنكم خداعها أيها الأوغاد .. ليست درجة سلم ، تعتلونها وقتما تشاءون ، ثم تحطمونها عندما ينتهى الغرض منها .

شحب وجهه ، وهو يتمتم :

ـ لـ .. لماذا تقولين هذا يا سنيورا ؟!

استدارت فى رشاقة ، وضغطت زر جهاز الاستماع فى سرعة ، فارتفع صوت (مالينوفيتشى) ، وهو يتحدث معه ، عند مدخل المفاعل ...

وبكل ذعر الدنيا ، هتف (ميلوسكى) :

ـ يبدو أنك قد أسأت الفهم يا سنيورا .. إننى ..

قاطعته فى صرامة :

ـ بل قل : إننى أحسنت الفهم أخيرًا يا جنرال .. كشفت لعبتكم القذرة فى الوقت المناسب .

قال الجنرال ، فى صوت أقرب إلى البكاء :

ـ أنا رهن إشارتك يا سنيورا .. سأخبرك بكل ما ترغبين فى معرفته .. أنا خادمك المطيع .

قالت فى غضب :

ـ ومن قال : إننى بحاجة إلى المزيد من الخدم ؟!

انهار الرجل تمامًا ، وهو يهتف :

ـ إنـه الرفيق (مالينوفيتشى) يا سنيورا .. هو الذى أصدر كل الأوامر وكل التعليمات .. أنا مجرد منفذ .

جلست على مقعدها فى هدوء ، ونفثت دخان سيجارتها ، قائلة :

ـ يبدو أنك قد أسأت اختيار الجانب ، الذى تقاتل فيه يا جنرال .

هتف :

ـ كل خطأ يمكن إصلاحه يا سنيورا .. أنا مستعد للعمل تحت رايتك ، بمنتهى الوفاء والإخلاص والتضحية ، و ...

قاطعته فى صرامة :

ـ ما الذى كان ينبغى أن تفعله ، عندما تخرج أول دفعة من القنابل الذرية إلى الوجود .

ازدرد لعابه فى صعوبة ، وعجز عن النطق مرتين متتاليتين ، بسبب حلقه الجاف ، قبل أن يتمتم بصوت مختنق :

ـ أ .. أقتلك .

سألته فى غضب :

ـ ثم ماذا ؟!

أجاب فى انهيار تام :

ـ ثم أتحفظ على كل القنابل ، حتى يصل الرفيق (مالينوفيتشى) .

هزت رأسها متفهمة ، ثم قالت فى صرامة :

ـ ألم أقل لك : لقد أسأت اختيار معسكرك يا جنرال .

ثم التفتت إلى (لورانزو) ، مشيرة بسبابتها ، فصرخ الجنرال :

ـ لا .. لا يا سنيورا .. سأنفذ كل أوامرك .. سـ ..

قبل أن يتم عبارته ، انطلقت رصاصة من مدفع (لورانزو) ، واخترقت صدغ الجنرال ، لتنفذ من صدغه الآخر ، مع قنبلة من الدم والعظام ..

وسقط الجنرال المسكين أرضًا كالحجر ، وتدفقت الدماء من رأسه كالسيل ، فى حين مطت السنيورا شفتيها فى غضب ، قائلة :

ـ الدماء لوثت الستائر يا (لورانزو) .

خفض مدفعه ، وهو يقول :

ـ سأرسل من ينظف المكان يا سنيورا .

ألقت نظرة لا مبالية على جثة (ميلوسكى) ، ثم تطلَّعت مرة أخرى عبر النافذة ، إلى رجالها ، الذين يحفرون حفرة كبيرة ، لدفن رجال الجنرال ، قبل أن تقول فى هدوء :

ـ أرسله للحاق برجاله ..

أجاب فى سرعة :

ـ كما تأمرين يا سنيورا .

ارتسمت على شفتيها ابتسامة ظافرة ، وهى تتطلَّع عبر النافذة ، إلى الثلوج الممتدة إلى مالا نهاية هذه المرة ..

وفى أعماقها ، نما شعور قوى بالتفوق والظفر .. شعور بلا حدود ..

★ ★ ★

حملت سيارة شحن صغيرة ذلك الصندوق ، الذى يحمل شعار مؤسَّسة (ماسومى) ، إلى الونش الخاص بمكوك الفضاء ، الذى يحمل القمر الصناعى (ماسو ـ ١) ، وتلقَّفه الونش بحركة آلية ، ليرفعه إلى داخل القمر الصناعى ، فابتسم اليابانى ، وهو يتابع

المشهد ، من داخل حجرة المتابعة الخاصة ، فى قاعدة (كيب كيندى)(*) ، وقال :

ـ الشحنة وصلت بسلام .

مطَّ (أوكونور) شفتيه فى توتر ، وهو يغمغم :

ـ أتعشَّم أن تواصل رحلتها حتى النهاية .

ابتسم (ماسومى) فى ثقة ، قائلاً :

ـ ستفعل .

تراجع الونش ، وابتعدت كل السيارات عن المكوك الفضائى ، الذى انطلقت من قاعدته النيران ، مع بداية العد التنازلى الأخير ، فقال (أوكونور) فى عصبية زائدة :

ـ أتعشم أن تكونوا قد أحكمتم وثاقه جيِّدًا ، داخل ذلك الصندوق .

أومأ (ماسومى) برأسه إيجابًا ، وقال :

(*) (كيب كيندى) : مركز (جون فيتزجيرالد كيندى) للفضاء ، ويقع فى الساحل الشرقى الأوسط لولاية (فلوريدا) ، وهو يضمّ محطة أبحاث المحيط الأطلنطى ، والمكز الإقليمى لاختبارات الطيران ، ومركز أبحاث الفضاء (ناسا) ، ومن هذا المركز انطلقت رحلة (أبوللو ـ ١١) ، التى هبط روَّادها على سطح القمر عام ١٩٦٩ م .

- اطمئن يا عزيزى (سام) .. اطمئن .. كل شىء تم إعداده ومراجعته بدقة متناهية ، وتحت إشرافى شخصياً .

قال (أوكونور) فى حدة :

- ما زلت أصرّ على أنه كان من الأفضل أن نقتله مباشرة .

هزّ (ماسومى) رأسه ، قائلاً :

- وأين روح الابتكار والإبداع والتجديد يا رجل ؟!

صاح (أوكونور) فى حدة :

- فليذهب كل هذا إلى الجحيم .. إننى أفضّل رؤيته ميتاً أمامى ، بأية وسيلة تقليدية .

اتسعت ابتسامة (ماسومى) ، وهو يقول :

- اطمئن يا رجل .. لن تختلف النهاية كثيراً .

ثم التقط زجاجة خمر ، قائلاً :

- هيا .. استعد للاحتفال يا رجل .. لقد شارف العد التنازلى نهايته .

راقب (أوكونور) مكوك الفضاء ، من خلف زجاج حجرة المراقبة ، وهو يتصوّر أن (أدهم) سيبرز منه بغتة ، ويفسد عملية الإطلاق ، و ...

« انتهى العد التنازلى .. »

نطق (ماسومى) العبارة فى جذل واضح ، فانتفض جسد (أوكونور) فى عنف ، وهو يحدّق فى المكوك ، الذى بدأ يرتفع عن الأرض ، حاملاً القمر الصناعى ، فى حين صبّ اليابانى كأسين من الخمر ، وهو يهتف :

- نخب رحلة صديقنا (أدهم صبرى) إلى الفضاء .

التقط (أوكونور) كأسه فى شرود ، وهو يتابع المكوك ، الذى راح يرتفع ..

ويرتفع ..

ويرتفع ..

وفى مرح ظافر ، ضرب (ماسومى) كأسه بكأس (أوكونور) ، وهتف مع رنينهما :

- سيدور انتصارنا حول الأرض إلى الأبد يا صديقى .

ولم ينبس (أوكونور) ببنت شفة ، وإن تألّقت عيناه فى ظفر وارتياح ، وهو يرتشف كأسه فى بطء ،

وعيناه تتابعان المكوك ، الذى يحمل ذلك الصندوق ، الذى يضم جسد (أدهم) ، فى رحلة بعيدة .

بعيدة عن الأرض ..

تمامًا .

* * *

انتهى الجزء الثالث بحمد الله

ويليه الجزء الرابع والأخير بإذن الله

(وجه الأفعى)